

وَحْدَةُ الْوَطَنِ

سبيل قوته

ابن شهوان

مَجْمُوعُ دَرَرَاتٍ
مِنْ خُطَبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فُضِّلَتْ الشَّيْخُ
أَبِي عَمْرِو مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسُلَانُ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

الْوَطَنُ مَدْرَسَةُ الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ

ف«إِنَّ الْوَطَنَ هُوَ مَدْرَسَةُ الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ، يَقْضِي الْعُمُرَ فِيهَا الطَّالِبُ، حَقُّ اللَّهِ.. وَمَا أَقْدَسُهُ وَأَقْدَمُهُ، وَحَقُّ الْوَالِدَيْنِ.. وَمَا أَعْظَمُهُ، وَحَقُّ النَّفْسِ.. وَمَا أَلْزَمُهُ، إِلَى أَخٍ تُنْصِفُهُ، أَوْ جَارٍ تُسَعِفُهُ، أَوْ رَفِيقٍ فِي رِحَالِ الْحَيَاةِ تَتَأَلَّفُهُ، أَوْ فَضْلٍ لِلرِّجَالِ تُزَيِّنُهُ وَلَا تُزَيِّفُهُ»^(١).

فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الْوَطَنِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَعْبَاءِ أَمَانَاتِهِ الْمُعْظَمَةِ.. صِيَانَةُ بَنَائِهِ، وَالضَّانَّةُ بِأَشْيَائِهِ^(٢)، وَالنَّصِيحَةُ لِأَبْنَائِهِ، وَالْمَوْتُ دُونَ لَوَائِهِ، قِيُودٌ فِي الْحَيَاةِ بَلَا عَدَدٍ يَكْسِرُهَا الْمَوْتُ وَهُوَ قَيْدُ الْأَبَدِ^(٣).

(١) (زَيْفُ الرَّجُلِ): صَغُرَ بِهِ وَحَقَّرَ.

(٢) (الضَّانَّةُ بِالشَّيْءِ): الضَّنُّ بِهِ، وَهُوَ: الْبُخْلُ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ.

انظر: «لسان العرب»: (١٢ / ٢٦١).

(٣) تناول الشاعر في هذه الفقرة حقوق الوطن على أبنائه أو واجبات الوطنيين نحو وطنهم، ففصلها أجمل تفصيل دون أن يفوته وصف كل حق بوصفه الملازم من حق الله وحق الوالدين وحق النفس إلى حق الإخوان وسائر أبناء الوطن. مجموعة حقوق يتألف منها حق الوطن على كل إنسان، ولو أدّى القيام بهذا الحق إلى التضحية بالنفس دفاعاً عن الوطن.

ثم قال: إن هذه الواجبات ينبغي للإنسان القيام بها في جميع أدوار الحياة، فلا ينعقد منها إلا بالممات.

رَأْسُ مَالِ الْأُمَمِ فِيهِ مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ كَرِيمٍ، وَأَثَرِ ضَيْلٍ أَوْ عَظِيمٍ، وَمُدَّخَرِ حَدِيثٍ
أَوْ قَدِيمٍ؛ يَنْمُو عَلَى الدَّرْهِمِ كَمَا يَنْمُو عَلَى الدِّينَارِ، وَيَرْبُو عَلَى الرَّذَاذِ^(١) كَمَا يَرْبُو
عَلَى الْوَابِلِ الْمِدْرَارِ^(٢)، بَحْرٌ يَتَقَبَّلُ مِنَ السُّحُبِ وَيَتَقَبَّلُ مِنَ الْأَنْهَارِ.

فِيَا خَادِمَ الْوَطَنِ! مَاذَا أَعَدَدْتَ لِلْبِنَاءِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ زِدْتَ فِي الْفِنَاءِ مِنْ
شَجَرٍ!!؟

عَلَيْكَ أَنْ تَبْلُغَ الْجَهْدَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَبْنِيَ السَّدَّ؛ فَإِنَّمَا الْوَطَنُ كَالْبُنْيَانِ.. فَفَقِيرٌ
إِلَى الرَّأْسِ الْعَاقِلِ، وَالسَّاعِدِ الْعَامِلِ، وَإِلَى الْعَتَبِ الْوَضِيعَةِ، وَالسَّقُوفِ الرَّفِيعَةِ.
وَكَالرَّوْضِ مُحْتَاجٌ إِلَى رَخِيصِ الشَّجَرِ وَثَمِينِهِ، وَنَجِيبِ النَّبَاتِ^(٤)
وَهَجِينِهِ^(٥)؛ إِذْ كَانَ اتِّتْلَافُهُ فِي اخْتِلَافِ رِيَاحِينِهِ^(٦) «(٧)» (*).

(١) (الرذاذ): المطر الضعيف والمال القليل.

(٢) (الوابل المدرار): المطر الشديد الضخم القطر.

(٣) فيه التفات بديع بليغ؛ لانتقاله من الإخبار إلى الخطاب.

(٤) (النجيب): الكريم الحبيب من الإنسان والحيوان.

(٥) (الهجين): من أبوه خيرٌ من أمه.

(٦) يريد أن كل إنسان مهما ارتفع شأنه أو اتضع مكانه قادر على خدمة الوطن، بل هو
مطالب بتلك الخدمة، فعمد موفقاً إلى التشبيه والاستعارة، فقال: إن البناء محتاج إلى
العتب الوضيعة والسقوف العالية، وأن الروض لا يتم بهائه وجماله إلا بمختلف
الأزاهير والرياحين.

(٧) «أسواق الذهب» لأمير الشعراء أحمد شوقي: (ص ٩-١٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْوَطَنِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ

شَعْبَانَ ١٤٣٩ هـ / ٢٠-٤-٢٠١٨ م.

دِينُ الْوَحْدَةِ وَالتَّائِفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفِرْقَةِ وَالشَّقَاقِ

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ(*)، قَالَ
جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فِي الْإِلْتِقَاءِ الْفِكْرِيِّ عَلَى عَقِيدَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي
الْتِقَاءِ الْقُلُوبِ عَلَى عَاطِفَةٍ دِينِيَّةٍ وَأَهْدَافٍ غَايِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي التَّقَائِمِ عَلَى أَحْكَامٍ
تَشْرِيعِيَّةٍ، وَقِيَادَةٍ وَاحِدَةٍ. (* / ٢).

النَّبِيُّ ﷺ أَرْسَلَ بِرِسَالَةٍ تَدْعُو إِلَى الْوَحْدَةِ وَالتَّائِفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْفِرْقَةِ
وَالشَّقَاقِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا
أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِالْمَوَدَّةِ وَالتَّرَاحُمِ، وَالْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ،
وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَهْلَ حَمِيَّةٍ وَعَصَبِيَّةٍ وَضَغِينَةٍ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ» - (مُحَاضَرَةٌ ١).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -

[الحجرات: ١٠].

وَأَمَّنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ؛ انْقَلَبَتْ تِلْكَ الْحَالُ، فَاتَّكَلَفَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَارُوا أَنْصَارًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْوَانًا، يُقَاتِلُونَ عَنْهُ وَيَحْمُونَهُ.

لَوْ أَنْفَقْتَ -يَا رَسُولَ اللَّهِ- جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَنَافِعِ فِي سَبِيلِ هَذَا التَّائِيلِ؛ لَمَا أَمَكَّنَكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ بِهَدَايَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْإِخَاءِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ وَالتَّعَادِي، إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- قَوِيٌّ غَالِبٌ، يُدَبِّرُ أُمُورَ الْعِبَادِ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ. (*)

وَنَصَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذِهِ الْأُخُوَّةِ صَرَاحَةً، فَقَالَ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (٢).

لَقَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الْإِخْتِلَافِ إِلَى الْإِتِّلَافِ، وَلِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنَ التَّمَرُّقِ وَالتَّفَرُّقِ إِلَى الْعُودَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، مُتَمَسِّكِينَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمتينِ، مُتَأَلِّفَةً قُلُوبُهُمْ، عَائِدَةً إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِجَمْعِيَّتِهَا وَبِكُلِّيَّتِهَا كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيَرْضَى. (*) (٢).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بَيْنَ لَنَا طَرِيقًا وَاحِدًا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْلُكُوهُ، وَهُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَنْهَجُ دِينِهِ الْقَوِيمِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّغْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الحجرات: ١٠].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ» - مُحَاضَرَةٌ ١ -

الجمعة ١٩ / ٨ / ١٩٩٥ م.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فَالْوَاجِبُ عَلَى عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ: تَوْضِيحُ الْحَقِيقَةِ، وَمُنَاقَشَةُ كُلِّ جَمَاعَةٍ، وَنُصْحُ الْجَمِيعِ بِأَنْ يَسِيرُوا فِي الْخَطِّ الَّذِي رَسَمَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- لِعِبَادِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمَنْ تَجَاوَزَ هَذَا بِأَنْ يَسِيرُوا فِي الْخَطِّ الَّذِي خَطَّهُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ؛ فَأُولَئِكَ الْوَاجِبُ التَّشْهِيرُ بِهِمْ، وَالتَّحْذِيرُ مِمَّنْ عَرَفَ الْحَقِيقَةَ؛ حَتَّى يَتَجَنَّبَ النَّاسُ طَرِيقَهُمْ، وَحَتَّى لَا يَدْخُلَ مَعَهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ فَيُضِلُّوهُ، وَيَصْرِفُوهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِاتِّبَاعِهِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ كَثْرَةَ الْفِرَقِ وَالْجَمَاعَاتِ فِي الْبَلَدِ الْمُسْلِمِ مِمَّا يَحْرِصُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ أَوَّلًا، وَأَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْإِنْسِ ثَانِيًا.

فَمَا هُوَ حُكْمُ الشَّرْعِ فِي تَعَدُّدِ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَحْزَابِ وَالتَّنَظِيمَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ مَعَ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا، فِي مَنَاجِحِهَا وَأَسَالِبِهَا، وَدَعَوَاتِهَا وَعَقَائِدِهَا، وَالْأُسُسِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا؛ وَخَاصَّةً أَنَّ جَمَاعَةَ الْحَقِّ وَاحِدَةٌ، كَمَا دَلَّ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ عَلَى ذَلِكَ؟

وَالْجَوَابُ: لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَارِفٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلْفُنَا الصَّالِحُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَنَّ التَّحَزُّبَ وَالتَّكْتُلَ فِي جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ الْأَفْكَارِ أَوَّلًا، وَالْأَسَالِبِ ثَانِيًا؛ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ؛ بَلْ نَهَى عَنْهُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[الروم: ٣١ - ٣٢].

وَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَيَّ جَمَاعَةٍ يُرِيدُونَ بِحِرْصٍ بَالِغٍ وَإِخْلَاصٍ لِلَّهِ ﷻ؛
يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ، فَلَا سَبِيلَ لِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ، وَلَا إِلَى
تَحْقِيقِهِ عَمَلِيًّا فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ، وَإِلَى سُنَّةِ الرَّسُولِ
ﷺ، وَإِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِحُ ﷺ.

وَلَقَدْ أَوْضَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَنْهَجَ وَالطَّرِيقَ السَّلِيمَ؛ بِأَنْ خَطَّ ذَاتَ يَوْمٍ
عَلَى الْأَرْضِ خَطًّا مُسْتَقِيمًا، وَخَطَّ حَوْلَهُ خُطُوطًا قَصِيرَةً عَنْ جَانِبِي الْخَطِّ
الْمُسْتَقِيمِ^(١).

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الطَّرُقَ الْقَصِيرَةَ هِيَ الَّتِي تُمَثِّلُ الْأَحْزَابَ وَالْجَمَاعَاتِ
وَالتَّنْظِيمَاتِ الْعَدِيدَةَ؛ وَلِذَلِكَ فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَرِيصٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَقًّا
مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنْ يَنْطَلِقَ سَالِكًا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَأَلَّا يَأْخُذَ يَمِينًا وَلَا يَسَارًا.

وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ مَا يُبَيِّحُ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَحْزَابَ
وَالتَّنْظِيمَاتِ؛ بَلْ إِنَّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ذَمَّ ذَلِكَ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١/ ٤٣٥، رَقْم ٤١٤٢) وَ(١/ ٤٦٥، رَقْم ٤٤٣٧)،
وَالْبَزَارُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٥/ رَقْم ١٦٩٤ وَ ١٨٦٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ
شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ:
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

وَالْحَدِيثُ رَوَى نَحْوَهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ظَلَالِ الْجَنَّةِ» فِي
تَخْرِيجِ السُّنَّةِ (١/ ١٣، رَقْم ١٦ وَ ١٧)، وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ فِي هَامِشِ «الْمَشْكَاةِ» (١/ رَقْم
١٦٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

[المؤمنون: ٥٣].

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْزَابَ تُنَافِي مَا أَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِ؛ بَلْ مَا حَثَّ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء: ٩٢].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿[الفاتحة: ٦-٧]، وَالَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فَالَّذِينَ جَعَلُوا مِنْهُمْ جُفَاءً لِلَّذِينَ أُخْلِفُوا - تَعَالَى - وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَعَمِلُوا بِقَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي؛ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ» (١).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (رقم ٤٦٠٦)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٢٦٧٦)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٤٢ و ٤٣ و ٤٤)، من حديث: العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ لَنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا،...» الحديث.

وصححه الألباني في «الإرواء» (٨ / رقم ٢٤٥٥)، وفي «الصحيحه» (٢ / رقم ٩٣٧).

هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا عَدَاهُمْ مِنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْفِرَقِ
وَالتَّنْظِيمَاتِ مُحَالِفُونَ لِلكِتَابِ؛ مُشَاقُونَ لِلسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَا اعْتِبَارَ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ
يُخَالِفُونَ كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيُخَالِفُونَ سُنَّةَ الرَّسُولِ ﷺ.

وَهَؤُلَاءِ يَخْتَلِفُونَ فِي بُعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَقُرْبِهِمْ مِنْهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ،
وَكُلُّ هَذِهِ التَّنْظِيمَاتِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْفِرَقِ تَحْتَ الْوَعِيدِ، وَكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً،
كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَالْجَمَاعَاتُ فِرَقٌ تَوْجَدُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَيْسَ هَذَا بِغَرِيبٍ؛ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى
ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي
النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (رقم ٣٩٩٣)، والبخاري في «المسند» (٧/ رقم ٢٧٥٥)،
والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ رقم ٩٠ و ٩١ و ١٢٩)، من حديث: عَوْفُ بْنُ
مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ
النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ
وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ
هِيَ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ».

والحديث جود إسناده الألباني في «الصحيحه» (٣/ رقم ١٤٩٢)، وفي «تخريج السنة
لابن أبي عاصم» (رقم ٦٣).

وحديث الافتراق روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم؛ فروي عن مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: أخرجه
أبو داود في «السنن» (رقم ٤٥٩٧)، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أخرجه أبو داود أيضا (رقم

فَوُجُودُ الْجَمَاعَاتِ وَوُجُودُ الْفِرَقِ وَالتَّنْظِيمَاتِ أَمْرٌ وَاقِعٌ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(١)؛ وَلَكِنَّ الَّتِي يَجِبُ السَّيْرُ مَعَهَا وَالْإِقْتِدَاءُ بِهَا: هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا بَيَّنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ، قَالَ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

قَالُوا: وَمَا هِيَ؟

قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(٢).

=

٤٥٩٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (رَقْم ٢٦٤٠)، وَابْنُ مَاجَهَ (رَقْم ٣٩٩١)، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفُظٍ: «...، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ»: أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (رَقْم ٣٩٩٣)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَلْفُظٍ: «...، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (رَقْم ٢٦٤١)، وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي أَمَامَةَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَانْظُرْ: «السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ» (١/ رَقْم ٢٠٣ وَ ٢٠٤).

(١) تَقْدِمْ تَخْرِيجَهُ مِنْ حَدِيثِ: الْعَرَبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (رَقْم ٢٦٤١)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ إِسْنَادُهُ لغيره الألباني في «صحيح الجامع» (رَقْم ٥٣٤٣)، وَفِي هَامِشٍ «صَلَاةُ الْعِيدَيْنِ» (ص ٤٦، التَّعْلِيقُ ١)، وَانْظُرْ: «السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ» (٣/ ٣٣٥، رَقْم

(١٣٤٨).

فَهَذَا هُوَ الضَّابِطُ.

فَالْجَمَاعَاتُ وَالتَّنْظِيمَاتُ وَالْفِرَقُ إِنَّمَا يَجِبُ الْإِعْتِبَارُ بِمَنْ كَانَ مِنْهَا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُمْ يَخْصُرُ النَّارُ أَعْيُنُهُمْ فِي ذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا وَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

هَؤُلَاءِ هُمْ مِنَ الْجَمَاعَةِ، وَهِيَ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ، لَيْسَ فِيهَا تَعَدُّ وَلَا انْقِسَامٌ، مِنْ أَوَّلِ الْأُمَّةِ إِلَى آخِرِهَا هُمْ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ؛ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

هَذِهِ هِيَ الْجَمَاعَةُ الْمُتَمَدِّدَةُ مِنْ وَقْتِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا مَا خَالَفَهُمْ مِنَ الْجَمَاعَاتِ، وَمِنْ الْفِرَقِ وَالتَّشْكِيلاتِ وَالتَّنْظِيمَاتِ؛ فَإِنَّهَا لَا اعْتِبَارَ بِهَا؛ وَإِنْ تَسَمَّتْ بِ(الْإِسْلَامِيَّةِ)!!
كُلُّ مَا خَالَفَ؛ لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَنْتَمِيَ إِلَيْهِ، أَوْ نَنْتَسِبَ إِلَيْهِ.

لَيْسَ عِنْدَنَا انْتِمَاءٌ إِلَّا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِلَّا لِلتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ؛ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦-٧]، وَالَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَعَمِلُوا بِقَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ؛ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ»^(١).

فَهُؤُلَاءِ هُمُ الْمُعْتَبَرُونَ حَقًّا، وَمَا عَدَاهُمْ مِنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْفِرَقِ وَالتَّنْظِيمَاتِ؛ فَإِنَّهُ لَا اعْتِبَارَ بِهِمْ؛ بَلْ هِيَ جَمَاعَاتٌ مُخَالَفَةٌ، وَتَخْتَلِفُ فِي بُعْدِهَا عَنِ الْحَقِّ وَقُرْبِهَا مِنْهُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «فَأَمَّا الْإِنْقِسَامُ^(٣) الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ خُرُوجٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَالْإِتِّلَافُ إِلَى الْفُرْقَةِ وَسُلُوكُ طَرِيقِ الْإِبْتِدَاعِ، وَمُفَارَقَةُ السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ؛ فَهَذَا مِمَّا يُنْهَى عَنْهُ، وَيَأْتُمُّ فَاعِلُهُ، وَيُخْرِجُ بِذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ».

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا سَمَّانًا فِي كِتَابِهِ: (الْمُسْلِمِينَ)، وَثَبَّتَ فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»^(٤): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَهُوَ جُثَاءٌ جَهَنَّمَ».

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٥١٤).

(٣) في الأصل: [الِاتِّسَابُ].

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٤ / ١٣٠ و ٢٠٢)، هو جزء من حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل، الذي أخرجه الترمذي (رقم ٢٨٦٣ و ٢٨٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / رقم ٥٥٢ و ٨٧٧).

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟

قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؛ وَلَكِنْ تَسَمَّوْا بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ عِبَادَ اللَّهِ؛ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ».

وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ كَانَتْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يُعْرَفُ الْإِنْتِسَابُ إِلَّا إِلَى الْإِسْلَامِ آنَ ذَاكَ، فَلَمَّا فَشَتْ الْبِدْعُ، وَانْتَشَرَتِ الْأَهْوَاءُ، وَاتَّكَأَ كُلُّ صَاحِبِ بَدْعَةٍ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ لَمْ يَجِدْ سَلَفُنَا الصَّالِحُ بُدًّا مِنْ إِظْهَارِ أَلْقَابِهِمُ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَمَيَّزُوا بِهَا عَمَّنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُضِلِّينَ، فَتَسَمَّوْا بِالْأَسْمَاءِ الْوَارِدَةِ فِي النُّصُوصِ؛ كَالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَ(الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ).

كَمَا تَسَمَّوْا أَيْضًا بِمَا التَزَمُوا بِهِ مِنَ الْعَمَلِ بِالسُّنَّةِ الَّتِي نَبَذَهَا وَخَالَفَهَا غَيْرُهُمْ؛ كَالسَّلَفِ، وَ(أَهْلِ الْحَدِيثِ)، وَ(أَهْلِ الْأَثَرِ)، وَ(أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ).

إِنَّ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي قَامَتْ عَلَى الْأُسُسِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ انْشِقَاقٌ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَشَرُّهَا وَضَرَرُهَا أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ خَيْرِهَا.

فَهِيَ لَمَّا اخْتَارَتْ طَرِيقًا لَا يَتَّصِلُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا يَنْهَلُ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ دَخَلَ عَلَيْهَا النِّقْصُ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ الْمَشْبُوهَةِ وَالتَّنْظِيمَاتِ الْمُحَدَّثَةِ.

فَلَا تَكُونُوا -أَيُّهَا الشَّبَابُ- ضَحِيَّةَ أَمْثَالِهَا؛ فَوَاللَّهِ مَا حَلَّتْ فِي بَلَدٍ، وَنَفَثَتْ فِيهِ سُمُومَهَا؛ إِلَّا سَادَ فِيهِ التَّفَرُّقُ وَالْإِخْتِلَافُ، وَبَرَزَتِ الشَّحْنَاءُ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَ

أَبْنَائِهَا، وَكَانُوا قَبْلَ ظُهُورِهَا وَبُرُوزِهَا فِي عَافِيَةٍ وَسِتْرٍ، وَهِيَ سَبِيلٌ لِسَرْدَمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَالَّذِينَ هَبَّ رِيحُهُمْ وَاصِبُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿رِيحُهُمْ﴾؛ أي: قُوَّتُكُمْ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَهَدَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ وَاضِحٍ، وَهَدَى أَصْحَابِهِ بَيْنَ وَاضِحٍ أَيْضًا، فَمَنْ تَرَكَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِ؛ دَخَلَ فِي هَذَا التَّحذِيرِ.

وَالسُّؤَالُ: إِضَافَةٌ لِحَالَةِ التَّرَدِّي تَعِيشُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حَالَةَ اضْطِرَابٍ فِكْرِيٍّ؛ خُصُوصًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، فَقَدْ كَثُرَتِ الْفِرْقُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالتَّنْظِيمَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي تَدَّعِي أَنَّ نَهْجَهَا هُوَ النِّهْجُ الْإِسْلَامِيُّ الصَّحِيحُ الْوَاجِبُ الْإِتِّبَاعُ؛ حَتَّى أَصْبَحَ الْمُسْلِمُ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ؛ أَيُّهَا يَتَّبِعُ؟!! وَأَيُّهَا عَلَى الْحَقِّ؟!!

وَالْجَوَابُ: التَّفَرُّقُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ أَمْرُنَا بِالْإِجْتِمَاعِ، وَأَنْ نَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء: ٩٢].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فَدِينُنَا دِينُ الْأُلْفَةِ وَالْاجْتِمَاعِ، وَالتَّفَرُّقُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ، فَتَعَدُّ الْجَمَاعَاتِ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَكُونَ جَمَاعَةً وَاحِدَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١).

وَيَقُولُ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ»^(٢).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبُنْيَانَ وَالْجَسَدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ مُتَمَاسِكٌ، لَيْسَ فِيهِ تَفَرُّقٌ؛ لِأَنَّ الْبُنْيَانَ إِذَا تَفَرَّقَ سَقَطَ، كَذَلِكَ الْجِسْمُ، إِذَا تَفَرَّقَ فَقَدَ الْحَيَاةَ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْاجْتِمَاعِ، وَأَنْ نَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً، أَساسُهَا التَّوْحِيدُ، وَمَنْهَجُهَا دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسَارُهَا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٠١١)، ومسلم (رقم ٢٥٨٦)، من حديث: الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»، وفي رواية للبخاري: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ...» الحديث، وفي رواية لمسلم: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»، وفي رواية له أيضا: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ».

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فَهَذِهِ الْجَمَاعَاتُ وَالتَّنْظِيمَاتُ وَالْفِرَقُ، وَهَذَا التَّفَرُّقُ الْحَاصِلُ عَلَى السَّاحَةِ الْيَوْمَ لَا يُقَرُّهُ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ بَلْ يَنْهَى عَنْهُ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَيَأْمُرُ بِالْاجْتِمَاعِ عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَى مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ، جَمَاعَةً وَاحِدَةً، وَأُمَّةً وَاحِدَةً، كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِذَلِكَ.

وَالتَّفَرُّقُ وَتَعَدُّدُ الْجَمَاعَاتِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَيْدِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ؛ فَمَا زَالَ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ يَدُسُّونَ الدَّسَائِسَ لِتَفْرِيقِ الْأُمَّةِ؛ قَالَ الْيَهُودُ مِنْ قَبْلُ: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]؛ أَيُّ: لَعَلَّ الْمُسْلِمِينَ يَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ إِذَا رَأَوْكُمْ رَجَعْتُمْ عَنْهُ.

وَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون: ٧]، ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرَّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ عَمَلِ الْكُفَّارِ، وَمِنْ عَمَلِ الْمُنَافِقِينَ. وَعُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ وَعُلَمَاءُ الشُّنَّةِ فِي السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ لَا يُجِيزُونَ هَذَا التَّفَرُّقَ، وَلَا هَذَا التَّحَرُّبَ، وَلَا هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ فِي مَنَاهِجِهَا وَعَقَائِدِهَا، وَلَا

هَذِهِ التَّنْظِيمَاتِ فِي أَهْدَافِهَا وَغَايَاتِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ رَسُولُهُ ﷺ، وَالْأَدِلَّةُ كَثِيرَةٌ عَلَى ذَلِكَ. (*)

النَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّحَابِّ وَالتَّلَافِ، وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَفَعَلَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُقَوِّي ذَلِكَ وَتُتِمِّمُهُ، وَفِي مُقَابَلَةِ هَذَا الْأَمْرِ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ تَفَرُّقَ الْمُسْلِمِينَ وَتَبَاعُدَهُمْ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِي التَّفَرُّقِ وَالبَغْضَاءِ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ.

فَالْتَفَرُّقُ هُوَ قُرَّةُ عَيْنِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ لِأَنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لَا يَوَدُّونَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى شَيْءٍ، فَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ التَّفَرُّقَ تَفَتَّتَ لِلْقُوَّةِ الَّتِي تَحْصُلُ بِالِاتِّزَامِ وَالِاتِّجَاهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ حَثَّ عَلَى التَّلَافِ وَالتَّحَابِّ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى تَفْرِيقِ الْكَلِمَةِ وَذَهَابِ الرِّيحِ. (* / ٢).

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا: أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَلَّا يَحْصُلَ بَيْنَهُمْ تَفَرُّقٌ وَتَحَزُّبٌ بَحِثُ يَتَنَاحَرُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ بِأَسَنَةِ الْأَلْسُنِ، وَيَتَعَادُونَ وَيَتَبَاغَضُونَ مِنْ أَجْلِ اخْتِلَافٍ يَسُوغُ فِيهِ الاجْتِهَادُ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِيمَا تَقْتَضِيهِ النُّصُوصُ حَسَبَ أَفْهَامِهِمْ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ فِيهِ سَعَةٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَيُّهَا الْمَصْرِيُّونَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥/١٢/١١ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصْرِفٍ يَسِيرٍ مِنْ كِتَابِ: «تَمَامُ الْمِنَّةِ فِي التَّعْلِيقِ عَلَى شَرْحِ الْأُصُولِ السَّنَّةِ» (ص: ٣٢).

وَالْمُهِمُّ اِتِّلَافُ الْقُلُوبِ وَاتِّحَادُ الْكَلِمَةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَعْدَاءَ الْمُسْلِمِينَ
يُحِبُّونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا؛ سَوَاءٌ كَانُوا أَعْدَاءً يُصْرِّحُونَ بِالْعَدَاوَةِ، أَوْ أَعْدَاءً
يَتَظَاهَرُونَ بِالْوَلَايَةِ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ لِلْإِسْلَامِ، وَهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ كِتَابٍ: «تَمَامُ الْمِنَّةِ فِي التَّغْلِيْقِ عَلَى شَرْحِ الْأُصُولِ السَّتَّةِ»

(ص: ٣٨-٣٩).

الْوَحْدَةُ وَنَبْذُ الْفُرْقَةِ سَبِيلُ قُوَّةِ الْوَطَنِ

إِنَّ وَاجِبَنَا جَمِيعًا تَجَاهَ وَطَنِنَا يَقْتَضِي تَوْحِيدَ الْجُهُودِ وَنَبْذَ الْخِلَافَاتِ، وَأَنْ نَجْتَمِعَ جَمِيعًا عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الصَّافِيَةِ؛ فَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَصُولِ الدِّينِ: الْاجْتِمَاعَ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِعْتِصَامَ بِحَبْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-؛ فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «عَلَيْكُمْ جَمِيعًا بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّهَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ»^(١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: ٤٧٤/٧، رقم (٣٧٣٣٧)، والطبري في «جامع البيان»: ٣٢/٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره»: ٧٢٣/٣، رقم (٣٩١٦)، والآجري في «الشریعة»: ٢٩٨/١، رقم (١٧)، والطبراني في «المعجم الكبير»: ٢٢٣/٩-٢٢٤، رقم (٨٩٧١ و ٨٩٧٢)، وابن بطة في «الإبانة»: ٢٩٧/١ و ٣٢٧، رقم (١٣٣ و ١٧٣)، والحاكم في «المستدرک»: ٥٥٥/٤، رقم (٨٦٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: ١٠٨/١، رقم (١٥٨)، بإسناد صحيح، تمامه: «...، وَأَنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا جَعَلَ لَهُ مُتَهَيًّا، وَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ تَمَّ وَإِنَّهُ صَائِرٌ إِلَى نَقْصَانٍ، وَإِنَّ أَمَارَةَ ذَلِكَ أَنْ تُقْطَعَ الْأَرْحَامُ، وَيُؤْخَذَ

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يُغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلَزُومُ الْجَمَاعَةِ؛ فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تَحِيَّطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»^(٢): «وَهَذِهِ الثَّلَاثُ -يَعْنِي: الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي حَدِيثِ زَيْدٍ رضي الله عنه- تَجْمَعُ أُصُولُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُهُ، وَتَجْمَعُ الْحُقُوقُ الَّتِي لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ، وَتَتَّظِمُ مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَقَالَ الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-^(٣): «لَمْ يَقَعْ خَلَلٌ فِي دِينِ النَّاسِ وَدُنْيَاهُمْ إِلَّا بِسَبَبِ الْإِخْلَالِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ أَوْ بَعْضِهَا».

=

الْمَالُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَيُسْفَكَ الدِّمَاءُ وَيَسْتَكْيِي ذُو الْقَرَابَةِ قَرَابَتَهُ، وَلَا يَعُودُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَيَطُوفُ السَّائِلُ بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ لَا يُوضَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَارَتْ خُورَ الْبَقَرِ يَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ إِنَّمَا خَارَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ كَذَلِكَ إِذْ قَذَفَتِ الْأَرْضُ بِأَفْلَازٍ كَبِدَهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَا يَنْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ». قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «السَّنَنِ»: ١ / ٨٤، رَقْم (٢٣٠)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: ١ / ٧٦١، رَقْم (٤٠٤).

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ أَيْضًا: ٢ / ١٠١٥، رَقْم (٣٠٥٦)، مِنْ رِوَايَةِ: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٥ / ٣٤، رَقْم (٢٦٥٨)، مِنْ رِوَايَةِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، بِنَحْوِهِ.

(٢) «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»: ١ / ١٨.

(٣) «مَسَائِلُ الْجَاهِلِيَّةِ»: الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي -فَكَانَ مِنْ نَصِيحِهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ-؛ أَنْ قَالَ لَهُ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»^(١).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا قَالَا: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»^(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»^(٣). أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي «زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ»، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَحْقِيقِهِ عَلَى السُّنَّةِ» لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٦/٦١٦، رقم (٣٦٠٦)، وفي: ١٣/٣٥، رقم (٧٠٨٤)، ومسلم في «الصحيح»: ٣/١٤٧٥، رقم (١٨٤٧).

وفي رواية لمسلم: ٣/١٤٧٦، بلفظ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ».

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٤/٤٦٦، رقم (٢١٦٦ و ٢١٦٧)، من حديث: ابن عباسٍ وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والنسائي في «المجتبى»: ٧/٩٢، رقم (٤٠٢٠)، من حديث: عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع»: ١/٣٧٨ و ٦٧٧، رقم (١٨٤٨) و (٣٦٢١)، وفي: ٢/١٣٤٠، رقم (٨٠٦٥).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند»: ٤/٢٧٨ و ٣٧٥، وابن أبي الدنيا في «الشكر»: ص ٢٥، رقم (٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة»: ١/٤٤، رقم (٩٣)، وفي:

٢/٤٣٥، رقم (٨٩٥)، والبخاري في «المسند»: ٨/٢٢٦، رقم (٣٢٨٢).

والحديث حسن إسناده الألباني في تعليقه على «السنة»: ١/٤٥.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَمَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ» (١).

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ فِي وَصِيَّةٍ لَهُ: «لَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ» (٢)؛
يَعْنِي: سَوَادَ الْمُسْلِمِينَ؛ لَا الْجَمَاعَةَ بِالْمَعْنَى الَّذِي ابْتَدَعَهُ أَهْلُ الْبِدْعِ
وَالْأَهْوَاءِ.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ،
وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ». (*)

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي زمنين في «أصول السنة»: رقم (٢٠٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف»:
٦/ ٥٤٤، رقم (٣٣٧١١)، وابن زنجويه في «الأموال»: ١/ ٧٦، رقم (٣٠)، والخلال في
«السنة»: ١/ ١١١، رقم (٥٤)، والداني في «الفتن»: ٢/ ٤٠٢، رقم (١٤٣)، والبيهقي
في «السنن الكبرى»: ٨/ ١٥٩، رقم (١٦٦٢٨)، بإسناد صحيح.

(٣) «صحيح مسلم»: (٣/ ١٣٤٠، رقم ١٧١٥).

وزاد مالك في «الموطأ» رواية يحيى: (٢/ ٩٩٠، رقم ٢٠) وغيره: «...، يَرْضَى لَكُمْ...،
أَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ...»، وفي رواية عند أبي نعيم في «الحلية»: (٨/ ٣٢٩):
«...، وَتَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ وَعَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ...».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَقِيدَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حُقُوقِ الْحُكَّامِ» - الْجُمُعَةُ ٨
شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ - ٦/ ٦/ ٢٠١٤م.

وَإِذَا كَانَ الْقَرْدُ هُوَ الْعُنْصُرُ الْأَسَاسِي فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ؛ فَإِنَّ دَوْرَهُ الْحَقِيقِي فِي هَذَا الْبِنَاءِ لَا يَكْتَمِلُ وَلَا يَتِمُّ إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ مَعَ بَقِيَّةِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ؛ كإِعْمَارِ الْأَرْضِ، وَبِنَاءِ الْوَطَنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]؛ أَي: جَعَلَكُمْ فِيهَا لِتَعْمُرُوهَا، وَمَكَّنَكُمْ بِمَا آتَاكُمْ مِنْ عِمَارَتِهَا. (*)

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً سَهْلَةً مُطَوَّعَةً، تَحْرُثُونَهَا وَتَزْرَعُونَهَا، وَتَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَهَا، وَتَتَنَفَّعُونَ مِنْ طَاقَاتِهَا، وَخَصَائِصِ عَنَاصِرِهَا.

فَامْشُوا فِي جَوَانِبِهَا وَأَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا مَشْيًا رَفِيقًا؛ لِتَحْصِيلِ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَكُلُوا مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَاكْتَسَبُوا الرِّزْقَ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ -تَعَالَى- لَكُمْ. (* / ٢).

لَقَدْ ضَرَبَ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَمَازِجَ لِلْوَحْدَةِ الَّتِي آدَتِ لِلْحِفَاطِ عَلَى الْوَطَنِ، وَسَلَامَةِ الْمُجْتَمَعِ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- حِكَايَةً لِمَا حَدَّثَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَلِكِ مِصْرَ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسُفٌ يَبْسُفُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٢ هـ | ٢١-١ - ٢٠١١ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [تفسير سورة الملك: ١٥].

﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْلِمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يُاسْتَلَمَتِ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴿٤٩﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

وَقَالَ مَلِكٌ مِصْرَ إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ، وَسَبْعَ بَقَرَاتٍ فِي غَايَةِ الْهَزَالِ، فَابْتَلَعَتِ الْعِجَافُ السَّمَانَ، وَدَخَلْنَ فِي بُطُونِهِنَّ، وَلَمْ يَرِ مِنْهُنَّ شَيْءٌ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ عَلَى الْهَزِيلَاتِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَرَأَيْتُ سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ قَدْ انْعَقَدَ حَبُّهَا، وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ أُخْرَىٰ يَابِسَاتٍ قَدْ اسْتَحْصَدَتْ، فَالْتَوَتِ الْيَابِسَاتُ عَلَى الْخُضْرِ حَتَّىٰ عُلُوْنَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ قُدْرَتِهَا شَيْءٌ.

يَا أَيُّهَا السَّادَةُ وَالْكِبَرَاءُ! يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ! أَخْبِرُونِي بِتَأْوِيلِ رُؤْيَايَ الْخَطِيرَةِ، وَعَبَّرُوهَا لِي، وَادْكُرُوا بَعْدَهَا الْوَاقِعِي فِي هَذَا الْكُونِ إِنْ كُنْتُمْ تُحْسِنُونَ عِلْمَ الْعِبَارَةِ وَتَفْسِيرِ رُمُوزِ الْأَحْلَامِ.

قَالَ الْمَلَأُ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَالْمُعَبِّرِينَ مُجِيبِينَ الْمَلِكَ: رُؤْيَاكَ هَذِهِ أَخْلَاطٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَمَنَامَاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ بَاطِلَةٌ، وَمَا نَحْنُ بِتَفْسِيرِ الْمَنَامَاتِ بِعَالِمِينَ.

وَقَالَ السَّاقِي الَّذِي نَجَا مِنَ الْقَتْلِ بَعْدَ هَلَاكِ صَاحِبِهِ الْخَبَّازِ، وَتَذَكَّرَ قَوْلَ يُوسُفَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ»، قَالَ: أَنَا أَخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا، إِذْ اسْتَفْتَيْتُ فِيهَا السَّجِينَ الْعَبْرَانِيَّ الَّذِي كُنْتُ مُصَاحِبًا لَهُ فِي سِجْنِ

رَئِيسِ الشُّرْطَةِ؛ فَأَرْسَلَنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى السَّجْنِ، فَفِيهِ رَجُلٌ عَالِمٌ يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا،
فَأَرْسَلَهُ، فَأَتَانِي السَّجْنُ.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ؛ قَالَ لَهُ: يَا يُوسُفُ! أَيُّهَا الْعَظِيمُ الصَّدِّقُ فِي كَلَامِكَ
وَتَأْوِيلِكَ وَسُلُوكِكَ وَتَصَرُّفَاتِكَ وَصُحْبَتِكَ! فَسَّرْ لَنَا رُؤْيَا مَا رَأَى: سَبْعُ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ هَزِيلَاتٍ، وَرَأَى سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرَ وَأَخْرَجَ يَابِسَاتٍ،
فَإِنَّ الْمَلِكَ رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا، لَعَلِّي أَرْجِعُ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَى الْمَلِكِ وَجَمَاعَتِهِ؛
لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا سَأَلْتِكَ عَنْهُ، وَلِيَعْلَمُوا مَكَانَتَكَ وَفَضْلَكَ.

لَمْ يَشْتَرِطْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَضَى فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ لَوْ كَانَ سِوَاهُ
لَقَالَ: لَا أَعْبُرُ لَكُمْ الرُّؤْيَا حَتَّى أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْحَبْسِ، أَوْ حَتَّى يُرَدَّ إِلَيَّ حَقِّي، إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَفَادَهُمْ وَأَرَادَ نَفْعَهُمْ.

قَالَ يُوسُفُ مُعَبِّرًا لِنَلِكِ الرُّؤْيَا الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْوَضْعِ الزَّرَاعِيِّ وَالْإِقْتِصَادِيِّ
وَالْمَالِيِّ خِلَالَ الْخَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةِ الْقَادِمَةِ، بِمَا فِيهَا مِنْ رَخَاءٍ، ثُمَّ قَحْطٍ، ثُمَّ
غَوْثٍ: ازْرَعُوا سَبْعَ سِنِينَ بَجْدٍ وَاجْتِهَادٍ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ عَلَى عَادَتِكُمُ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي
الزَّرَاعَةِ، فَمَا حَصَدْتُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ فَاتْرُكُوهُ فِي سُنبُلِهِ؛ لِئَلَّا يَفْسُدَ وَيَقَعَ فِيهِ
السُّوسُ، وَاحْفَظُوا أَكْثَرَهُ لَوْفَتِ الْحَاجَةِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْحُبُوبِ.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الدَّأْبِ فِي الزَّرَاعَةِ -زِرَاعَةِ الْأَقْوَاتِ وَادِّخَارِهَا- طَوَالَ
السِّنِينَ السَّبْعِ الْمُخَصَّصَةِ، يَأْتِي سَبْعَ سِنِينَ مُجْدِبَةٍ، تَكُونُ مُمَحِلَّةً شَدِيدَةً عَلَى
النَّاسِ، يَأْكُلُ النَّاسُ، وَتَأْكُلُ مَوَاشِيهِمْ فِيهَا مَا زَرَعْتُمْ وَادِّخَرْتُمْ لَهُنَّ مِنَ الطَّعَامِ فِي

سَنَوَاتِ الْخِصْبِ؛ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْفَظُونَهُ وَتَدَّخِرُونَهُ؛ احتياطًا لِلطَّوَارِي الْمُلْجِئَةِ الَّتِي قَدْ يُسَمَّحُ فِيهَا بِالْأَخْذِ مِنَ الْإِحتِيَاظِيِّ بِمَقَادِيرِ الصَّرُورَةِ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: لَيْسَ فِي الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا الْمَلِكُ أَذْنَى إِشَارَةٍ إِلَى عَامِ الْغَوْثِ هَذَا، فَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فِيهَا سَبْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ - كَمَا أَوَّلَ - يَكُونُ فِيهَا الْخِصْبُ، ثُمَّ سَبْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ يَكُونُ فِيهَا الْجَدْبُ، وَلَيْسَ فِي الرُّؤْيَا أَذْنَى إِشَارَةٍ إِلَى عَامِ الْغَوْثِ هَذَا.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ هَذِهِ السَّنِينَ الْمُجْدِبَةِ عَامٌ تَرْجِعُ فِيهِ تَصَارِيفُ الْكَوْنِ إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً، وَفِيهِ تَنْزُلُ الْأَمْطَارُ النَّافِعَةُ الَّتِي يُنْبِتُ اللَّهُ بِهَا الزُّرُوعَ، وَفِيهَا يَعْصِرُونَ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُعْصَرَ مِنْ نَحْوِ الْعِنَبِ وَالزَّيْتُونِ وَالْقَصَبِ، وَتَكْثُرُ النِّعَمُ عَلَى النَّاسِ.

لَمْ يَكْتَفِ يُوسُفُ عليه السلام بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَلْ بَادَرَ فَوَضَعَ لَهُمْ خُطَّةَ عَمَلٍ لِمُوَاجَهَةِ سَنَوَاتِ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ، وَهِيَ خُطَّةٌ اقْتِصَادِيَّةٌ تَتَنَاوَلُ الْحَيَاةَ الزَّرَاعِيَّةَ وَالتَّمْوِينِيَّةَ لِلأُمَّةِ خِلَالَ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ تَأْتِي عَلَى اسْتِقْلَالٍ. (*)

وَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفَاظِ عَلَى الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: الْوَحْدَةُ وَالْإِجْتِمَاعُ عِنْدَ الدِّفَاعِ عَنْهُ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [يوسف: ٤٣ -

وَأَعِدُّوا - يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ - لِقِتَالِ الْكَافِرِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَلَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَكُمْ قُوَّةً فِي الْحَرْبِ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ.

وَأَعِدُّوا مَا تَسْتَطِيعُونَ مِنَ الْخَيْلِ الْمَرْبُوطَةِ الْمُجَهَّزَةِ لِلْهَجُومِ وَالْإِنْقِضَاضِ عَلَى الْعَدُوِّ بَعْدَ إِثْخَانِهِ وَتَدْمِيرِهِ بِقُوَّةِ الرَّمْيِ، تُخَوِّفُونَ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ الْمُرْهِبَةِ وَذَلِكَ الرِّبَاطُ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ. (*)

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَصُفُّونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَفًّا فِي خُطَّةٍ مَرْسُومَةٍ مُوَحَّدَةٍ جَامِعَةٍ لِلْقُوَى، وَيَثْبُتُونَ فِي الْجِهَادِ، وَيَنْفِذُونَ أَوَامِرَ قِيَادَتِهِمُ الْحَرْبِيَّةَ الْوَاحِدَةَ، كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مُحْكَمٌ مُتَنَاسِقٌ قَدْ رُصَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، فَلَيْسَ فِيهِ فُرْجَةٌ وَلَا خَلَلٌ.

وَقَدْ تَقْضِي الْخُطَّةُ الْحَكِيمَةُ الَّتِي تَضَعُهَا الْقِيَادَةُ أَنْ يُقَاتِلَ بَعْضُ الْمُقَاتِلِينَ، وَيَتَرَبَّصَ بَعْضُهُمْ، وَيَكُونُ قِسْمٌ مِنْهُمْ فِي الْكَمَائِنِ، وَأَنْ يُدَاهِمُوا الْعَدُوَّ مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتِ الشَّكْلِ، مُتَنَوِّعَاتِ السَّلَاحِ.

وَلَيْسَ مَعْنَى وَحْدَةِ صَفِّ الْمُقَاتِلِينَ أَنْ يُوَاجِهُوا عَدُوَّهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الصَّفِّ الْمُنْتَرِصِّ كَتِفًا بِكَتِفٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُمَكِّنُ الْعَدُوَّ مِنْ حَصْدِهِمْ بِالْأَسْلِحَةِ النَّارِيَّةِ الْحَدِيثَةِ بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأنفال: ٦٠].

وَفِي الْآيَةِ: الْحَثُّ عَلَى الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَأَنْ يُوَاجِهَ جُنُودُ الْإِسْلَامِ أَعْدَاءَهُ صَفًّا سَوِيًّا رَاسِخًا كَالْبُنْيَانِ الَّذِي تَتَعَاوَنُ لِبَنَاتِهِ وَتَتَضَامُّ وَتَتَمَاسِكُ، وَتُؤَدِّي كُلُّ لَبَنَةٍ دَوْرَهَا، وَتَسُدُّ ثَغْرَتَهَا؛ لِأَنَّ الْبُنْيَانَ كُلَّهُ يَنْهَارُ إِذَا تَخَلَّتْ مِنْهُ لَبَنَةٌ عَنْ مَكَانِهَا؛ تَقَدَّمَتْ أَوْ تَأَخَّرَتْ، أَوْ تَخَلَّتْ عَنْ أَنْ تُمْسِكَ بِأُخْتِهَا تَحْتَهَا، أَوْ فَوْقَهَا، أَوْ عَلَى جَانِبِهَا سَوَاءً. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الصف: ٤].

سُبُلُ تَحْقِيقِ الْوَحْدَةِ فِي الْوَطَنِ

لَقَدْ دَعَا الْإِسْلَامَ وَرَعَّبَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَكُونُ سَبَبًا فِي وَحْدَةِ الصَّفِّ وَالْاجْتِمَاعِ، وَأَوَّلُ سُبُلِ تَحْقِيقِ الْوَحْدَةِ: الْاجْتِمَاعُ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(١).

إِذَنْ؛ الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعًا جَسَدٌ وَاحِدٌ.

إِنَّ الْأُخُوَّةَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى نَوْعَيْنِ:

* أُخُوَّةٌ هِيَ أُخُوَّةُ النَّسَبِ.

* وَأُخُوَّةٌ هِيَ أُخُوَّةُ الْعَقِيدَةِ.

فَأَمَّا الْأُخُوَّةُ الْأُولَى؛ فَإِنَّهَا هِيَ أَوَّلُ مَا يَخْرِصُ الْمَرْءُ عَلَى الْإِثْيَانِ بِهِ إِذَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ مَا يَسُوءُ، هِيَ أَوَّلُ مَا يَنْطِقُ بِهِ الْمَرْءُ إِذَا مَا أَتَاهُ مَا يُفْجِعُهُ وَيُفْطِعُهُ، كَأَنَّمَا يَدْعُو أَخَاهُ؛ لِيُنْقِذَهُ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي مَكَّنَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا وَمِنْهَا مِمَّا قَدْ أَلَمَ بِهِ «أَخٌ»، هِيَ أَوَّلُ مَا يَأْتِي لِلْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَقَعُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا يَسُوؤُهُ.

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

* وَأَمَّا أُخُوَّةُ الْعَقِيدَةِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

يَقُولُ نَبِيُّنا ﷺ عَنْ أُخُوَّةِ الْعَقِيدَةِ - لَا نَسَبَ وَلَا رَحِمَ - : «إِنَّ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا بِشُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقَامِهِمْ مِنْ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «هُمْ أَقْوَامٌ تَحَابُّوا عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَعَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا»^(١).

أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْقَانُونِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ صَاحِبُ الْبَيِّنَةِ؟!!

يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ! إِنَّ النَّاسَ إِذَا مَا خَرَجُوا مِنْ ذَوَاتِهِمْ، وَإِذَا مَا أَخْرَجُوا ذَوَاتَهُمْ مِنْ ذَوَاتِهِمْ، وَإِذَا مَا عَادُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى هَيْئَةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، لَا عَلَى هَيْئَةِ الْمُسُوخِ الْمُسَوَّهَةِ، الَّتِي عَدَا عَلَيْهَا الْحِرْصُ وَالْحِقْدُ وَالْحَسَدُ وَالطَّمَعُ، فَأَصْبَحَتْ مُسَوَّهَةً الصُّورَةِ وَمُسَوَّهَةً الْبَاطِنِ، مُسَوَّهَةً الْقَلْبِ وَمُسَوَّهَةً الْقَالِبِ.

(١) أخرجهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٣٥٢٧)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَمَامُهُ: «...، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ رقم ٣٠٢٦).

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو الْأُمَّةَ لِكَيْ تَكُونَ جَسَدًا وَاحِدًا. (*)

وَمِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ وَحْدَةِ الصَّفِّ وَالْاجْتِمَاعِ فِي الْوَطَنِ: الدَّعْوَةُ وَالتَّعَامُلُ بِالرَّحْمَةِ وَاللِّينِ وَالرَّفْقِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فَبِسَبَبِ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَقْدِ اللَّهِ لِلرَّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ بِأَصْحَابِكَ، وَأَلْقَى فِي قَلْبِكَ دَاعِيَةَ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ؛ فَسَهَّلْتَ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، وَلَئِنْ لِمَنْ اتَّبَعَكَ فِي أَقْوَالِكَ وَأَعْمَالِكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ، وَلَوْ كُنْتَ جَافِيًا مُتَجَهِّمَ الْوَجْهِ، سَيِّءِ الْخُلُقِ، قَلِيلِ الْإِحْتِمَالِ، قَاسِيِ الْقَلْبِ، خَالِيًا مِنْ عَاطِفَةِ الرَّحْمَةِ؛ لَنَفَرُوا عَنْكَ، وَتَفَرَّقُوا حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْهُمْ عِنْدَكَ.

فَتَجَاوَزَ عَنْ زَلَّاتِهِمْ، وَاسْأَلَ اللَّهُ السِّرَّ لِدُنُوبِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَ آرَاءَهُمْ، وَاعْلَمَ مَا عِنْدَهُمْ فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ؛ تَطْيِيبًا لِّقُلُوبِهِمْ، فَإِذَا وَصَلَتْ إِرَادَتُكَ إِلَى مُسْتَوَى الْعَزْمِ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ الشُّورَى وَاسْتِعْرَاضِ مُخْتَلَفِ الْأَرَءِ، وَتَرْجِيحِ الرَّأْيِ الْأَكْثَرِ نَفْعًا وَسَدَادًا لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَاعْمَلْ عَلَى تَنْفِيزِ مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ، وَاللَّهُ سَيَمُدُّكَ بِمَعُونَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْكَ الْأَعْرَاضَ وَالْمَوَانِعَ، وَيَحَقِّقُ لَكَ النَّتَاجَ الَّتِي تَرْجُوهَا؛ لِأَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ، مَعَ قِيَامِهِمْ بِكُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ حَاجَاتُ التَّنْفِيزِ مِنْ أَسْبَابٍ رَّبَطَ اللَّهُ بِهَا النَّتَاجَ فِي نِظَامِ كَوْنِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ».

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي بَيَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا بَعْضَ صِفَاتِ مَنْ يَكُونُ أَمَامَ النَّاسِ، أَوْ دَاعِيًا النَّاسَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَنْ يَطْمَعَ أَحَدٌ فِيمَا لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولُهُ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْفِظَاطَةِ وَغِلْظَةِ الْقَلْبِ يُرِيدُونَ أَلَّا يَنْفَضَّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ، أَفَيَأْتُونَ مَا لَمْ يُؤْتِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!!!

وَتَبَقِيَ الْمَسْأَلَةُ مُعَلَّقَةً بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيَّنَّ السَّبَبَ. (*)

فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ فِيمَا لَوْ تَعَامَلَ مَعَهُمْ بِالْغِلْظَةِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ انْفِصَاضِ أَصْحَابِهِ؛ فَكَيْفَ لَوْ تَعَامَلَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ دُونَهُ مَعَ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ؟!!!

وَأَنْتَ تَرَى - حَفِظَكَ اللَّهُ - بُعْدَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ.

فَالرَّفَقُ الرَّفَقُ!

وَاللِّينَ اللَّيِّنَ! إِلَّا فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ، فَيَتَوَجَّبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْتِيَ بِالشَّدَّةِ فِي مَوَاضِعِهَا.

فَالرَّفَقُ الرَّفَقُ.. وَاللِّينَ اللَّيِّنَ؛ حَتَّى تُبَلِّغَ دِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [آل عمران:

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الرَّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْمَلَ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ، فَمَنْ يُحْرِمَ الرَّفْقَ يُحْرِمَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (*)

وَجَعَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- الْخَيْرَ فِي الرَّفْقِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ؛ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ» (٢). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ لَيْسَ لِيُغْنِ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ».

وَمَفْهُومُ ذَلِكَ: أَنَّ الشَّرَّ فِي الْعُنْفِ، وَهُوَ -فَضْلًا عَمَّا يَجُرُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ- يُدْمِرُ صِحَّةَ الْإِنْسَانِ، وَيَبْذُرُ طَاقَةَ عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ، وَيُشَوِّشُ عَلَيْهِ فِكْرَهُ، وَيَقْطَعُ مَوْصُولَ صَلَاتِهِ بِالْخَلْقِ مِنْ حَوْلِهِ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الشَّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، وَأَمَّا الرَّفْقُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي مِنْهُ إِلَّا الْخَيْرُ. (* / ٢).

النَّبِيُّ ﷺ حَمَلَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ التَّيْسِيرَ وَالتَّبَشِيرَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ -بَابُ: الرَّفْقُ-» (ص ٢٠٦٢ - ٢٠٦٤).

(٢) «الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ» لِلْبُخَارِيِّ (رَقْم ٤٦٤)، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- ابْنُ مَاجَهَ (رَقْم ٢٠١٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ لَيْسَ لِيُغْنِ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْم ٣٦١)، وَفِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣/ رَقْم ٢٦٦٧).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ -بَابُ: الرَّفْقُ-» (ص ٢٠٦٥ - ٢٠٦٧).

فَسَدُّوْا وَقَارِبُوْا، وَأَبْشِرُوْا، وَاسْتَعِينُوْا بِالْغُدُوَّةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِّنَ الدُّلْجَةِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِّنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ؛ قَالَ: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفَرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْفَرُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٤). (*)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٩٣/١، رقم (٣٩).

(٢) «صحيح مسلم»: ١٣٥٨/٣، رقم (١٧٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١٦٣/٦، رقم (٣٠٣٨) وفي مواضع، ومسلم في «الصحيح»: ١٣٥٩/٣، رقم (١٧٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٥٢٤/١٠، رقم (٦١٢٥)، ومسلم في «الصحيح»: ١٣٥٩/٣، رقم (١٧٣٤).

وفي رواية للبخاري: ١٦٣/١، رقم (٦٩)، بلفظ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ»: الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ | ٢٠-٥-

قَالَ: «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»^(١). وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ».

وَالْحَدِيثُ نَصٌّ فِي أَنَّ الْإِسْلَامَ حَنِيفِيَّةٌ سَمْحَةٌ. (*)

لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِنَبْدِ الْغُلُوِّ وَالتَّنَطُّعِ وَالتَّطَرُّفِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةً وَسَطًا بَيْنَ الْأُمَمِ؛ فِي عَقِيدَتِهَا، وَعِبَادَتِهَا، وَأَخْلَاقِهَا، وَمُعَامَلَاتِهَا، وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ الْخِيَارُ، فَلَا إِفْرَاطَ وَلَا تَفْرِيطَ، وَلَا غُلُوًّا وَلَا جَفَاءً.

وَقَدْ عَابَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ يَتَاَهْلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] (*) (٢).

وَمِنْ سَبُلِ وَحْدَةِ الصَّفِّ فِي الْوَطَنِ: الْعِلْمُ أَنَّ الْمَحَبَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٤). (*) (٣).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٣٦/١)، وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٢٨٧)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٦٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ «دَعَائِمِ مِنْهَاجِ النَّبَوَّةِ» (٣٥١).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ»: الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ | ٢٠-٥-٢٠١٦ م.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (١/ ٥٦ - ٥٧، رَقْمُ ١٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (١/ ٦٨، رَقْمُ ٤٥)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِمُسْلِمٍ بَلْفُظٌ: «... لِجَارِهِ...».

(*) (٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)، الْأَرْبَعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠ هـ | ٣-١٠-٢٠١٨ م.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا».

إِذَنْ؛ لَنْ تَحْصِلُوا الْإِيمَانَ حَتَّى تَحَابُّوا، وَلَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، فَعَلَّقَ الْأَمْرَ عَلَى شَرْطِهِ - شَرْطُهُ الثَّانِي -، فَلَا إِيمَانَ بِغَيْرِ مَحَبَّةٍ، وَلَا دُخُولَ لِحِجَّةٍ بِغَيْرِ إِيمَانٍ، وَإِذَنْ، فَمِنْ الْمُقَدَّمَتَيْنِ: لَا دُخُولَ لِلْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ حُبٍّ.

«أَفَلَا أَدَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (١). (*)

وَمِنْ سُبُلِ الْمَحَبَّةِ وَالْوَحْدَةِ فِي الْوَطَنِ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. (*) (٢).

وَمِنْ سُبُلِ الْوَحْدَةِ فِي الْوَطَنِ الْمُسْلِمِ: الْبُعْدُ عَنِ الْخِصَامِ وَالتَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ نَهَى الْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّبَاغُضِ بَيْنَهُمْ فِي غَيْرِ اللَّهِ - تَعَالَى -، بَلْ عَلَى أَهْوَاءِ النُّفُوسِ، فَهَذَا لَا يَجُوزُ، وَنَهَى عَنِ الْحَسَدِ وَتَمَنِّي الشَّرِّ، وَأَمَرَهُمْ ﷺ أَنْ يَكُونُوا مُتَوَاصِلِينَ مُتَرَاحِمِينَ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ٥٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ».

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «آدَابُ السَّلَامِ» - الْأَرْبَعَاءُ ١٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥ هـ.

فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَنَهَانَا عَنْ كُلِّ خُلُقٍ مَذْمُومٍ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»^(١).

قَوْلُهُ: «لَا تَبَاغُضُوا»؛ أَي: لَا تَتَعَاطَوْا أَسْبَابَ الْبُغْضِ بَيْنَكُمْ.

وَقَوْلُهُ: «لَا تَحَاسَدُوا»؛ أَي: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ زَوَالَ النِّعْمَةِ مِنْ بَعْضٍ، أَوْ لَا يَكْرَهَنَّ أَحَدُكُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى أَخِيهِ، فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحَسَدِ، فَحَقِيقَةُ الْحَسَدِ أَنْ تَكْرَهَ نِعْمَةَ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى أَخِيكَ، فَمَهْمَا أَنْعَمَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى أَخِيكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَكْرَهْتَهَا؛ فَأَنْتَ لَهُ حَاسِدٌ.

وَقَوْلُهُ: «لَا تَدَابَرُوا»: وَالْمُدَابَرَةُ: الْمَصَارِمَةُ بِالْهَجَرَانِ، مَا خُوِذَ مِنْ أَنْ يُؤَلِّي الرَّجُلُ صَاحِبَهُ دُبْرَهُ، وَيُعْرِضَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ، وَهُوَ: «التَّقَاطُعُ».

وَقَوْلُهُ: «لَا تَبَاغُضُوا»: لَا تَتَعَاطَوْا أَسْبَابَ الْبُغْضِ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ، الْبُغْضُ لَا يُكْتَسَبُ ابْتِدَاءً، وَإِنَّمَا بِأَسْبَابِهِ، فَلَا تَتَعَاطَوْا أَسْبَابَ الْبُغْضِ، لَا تَخْتَلِفُوا فِي الْأَهْوَاءِ وَالْمَذَاهِبِ، فَالْبِدْعَةُ فِي الدِّينِ وَالضَّلَالُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يُوجِبُ الْبُغْضَ.

(١) «الأدب المفرد» للبخاري (رقم ٣٩٨)، وأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- فِي «صحيحه» (رقم ٦٠٦٥

و٦٠٦٦ و٦٠٧٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم ٢٥٥٨).

وَالنَّهْيُ عَنِ التَّبَاغُضِ تَأْكِيدٌ لِلْأَمْرِ بِالتَّحَابِّ مُطْلَقًا؛ إِلَّا مَا يَخْتَلُّ بِهِ الدِّينُ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ حِينَئِذٍ التَّحَابُّ، وَيَجُوزُ التَّبَاغُضُ؛ لِأَنَّ غَرَضَ الشَّارِعِ اجْتِمَاعَ كَلِمَةِ الْأُمَّةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَالتَّحَابُّ سَبَبٌ لِلْاجْتِمَاعِ، وَالتَّبَاغُضُ سَبَبٌ لِلانْفِرَاقِ.

وَالْمَعْنَى: لَا يُبْغِضُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لَا تَشْتَغِلُوا بِأَسْبَابِ الْعَدَاوَةِ؛ إِذِ الْعَدَاوَةُ وَالْمَحَبَّةُ مِمَّا لَا اخْتِيَارَ فِيهِ؛ فَإِنَّ الْبُغْضَ مِنْ نِفَارِ النَّفْسِ عَمَّا يُرْغَبُ عَنْهُ، وَأَوَّلُهُ الْكَرَاهَةُ، وَأَوْسَطُهُ النُّفْرَةُ، وَآخِرُهُ الْعَدَاوَةُ، كَمَا أَنَّ الْحُبَّ مِنْ انْجِذَابِ النَّفْسِ إِلَى مَا يُرْغَبُ فِيهِ.

«وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»: كُونُوا مُتَوَاصِلِينَ مُتَرَاحِمِينَ.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «عِبَادَ اللَّهِ» - بِحَذْفِ حَرْفِ النَّدَاءِ -: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَمِلَّتُكُمْ وَاحِدَةٌ، وَالتَّحَاسُدُ وَالتَّقَاطُعُ وَالتَّدَابُّرُ مُنَافٍ لِحَالِكُمْ، فَحَقُّكُمْ أَنْ تَتَوَحَّدُوا، وَأَنْ تَتَاخَوْا، وَأَنْ تَتَعَامَلُوا مُعَامَلَةَ الْإِخْوَةِ، وَأَنْ تَتَعَاشَرُوا بِمُودَةٍ وَمَحَبَّةٍ، وَأَنْ تَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّصِيحَةِ.

«وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»؛ أَي: بِأَيَّامِهَا، وَإِنَّمَا جَازَ الْهَجْرُ فِي ثَلَاثٍ وَمَا دُونَهُ؛ لِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ الْأَدَمِيُّ مِنَ الْغَضَبِ، فَسُومِحَ بِذَلِكَ الْقَدْرِ؛ لِيَرْجَعَ مِنْ ذَلِكَ الْغَضَبِ، وَلِيُزُولَ ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَهْجُرَ فَوْقَ تِلْكَ الْمُدَّةِ.

وَهَذَا فِيمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَتَبٍ وَمَوْجِدَةٍ، أَوْ تَقْصِيرٍ يَقَعُ فِي حُقُوقِ الْعِشْرَةِ وَالصُّحْبَةِ دُونَ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي جَانِبِ الدِّينِ؛ فَإِنَّ هِجْرَةَ

أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ التَّوْبَةُ وَالرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ. (*)

وَمِنْ سُبُلِ الْوَحْدَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْوَطَنِ الْوَاحِدِ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

«﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: أَصْلِحُوا مَا بَيْنَكُمْ مِنَ الشَّاحِنِ، وَالتَّقَاطُعِ، وَالتَّدَابُرِ؛ بِالتَّوَادُدِ، وَالتَّحَابِّ، وَالتَّوَاصُلِ، فَبِذَلِكَ تَجْتَمِعُ كَلِمَتُكُمْ، وَيَزُولُ مَا يَحْصُلُ -بِسَبَبِ التَّقَاطُعِ- مِنَ التَّخَاصُمِ وَالتَّشَاجُرِ وَالتَّنَازُعِ.

وَيَدْخُلُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ: تَحْسِينُ الْخُلُقِ لَهُمْ، وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيئِينَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ -بِذَلِكَ- يَزُولُ كَثِيرٌ مِمَّا يَكُونُ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالتَّدَابُرِ» (٢). (٢/*)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: هِجْرَةُ الْمُسْلِمِ) (ص ١٧٨٠-١٧٨٢ و ١٧٩٢-١٧٩٤).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: ص ٣١٥.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٨ هـ / ١٠-٣-٢٠١٧ م.

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ إِذَا اخْتَلَفَا وَاقْتَتَلَا، وَاتَّقُوا اللَّهَ فَلَا تَعْصُوهُ، وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ؛ رَجَاءُ أَنْ تَنَالُوا رَحْمَتَهُ جَلَّ وَعَلَا. (*)

وَمِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ تَحْقِيقِ الْوَحْدَةِ فِي الْوَطَنِ: عَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَى الْحُكَّامِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ (٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَضْرِبْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

قَالَ الْعُلَمَاءُ: «مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»: هِيَ بِكَسْرِ الْمِيمِ؛ مِيتَةً؛ أَيُّ: عَلَى صِفَةِ مَوْتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هُمْ فَوْضَى لَا إِمَامَ لَهُمْ» (٣).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وَأَخْرَجَ -أَيْضًا- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الحجرات: ١٠].

(٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٦/١٣، رَقْمُ (٧٠٥٣) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣/١٤٧٨، رَقْمُ (١٨٤٩).

(٣) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: ١٢/٢٣٨.

(٤) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: ٣/١٤٧٦ و ١٤٧٧، رَقْمُ (١٨٤٨)، وَتَمَامُهُ: «...، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقَتِلَ، فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدُهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

بَيْعَةً؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

مُفَارَقَةُ الْجَمَاعَةِ وَمُحَاوَلَةُ تَفْرِيقِهَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَالْجَمَاعَةُ: السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؛ مَجْمُوعُ الْمُسْلِمِينَ، لَيْسَتْ الْجَمَاعَةُ مَا يُرِيدُهُ أَوْلَيْكَ الضَّلَالُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، الَّذِينَ يُؤْمَرُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَيَنْعَزِلُونَ نَاحِيَةً عَنِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ!!

وَإِنَّمَا الْجَمَاعَةُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: مَجْمُوعُ الْمُسْلِمِينَ وَسَوَادُهُمْ، فَمَنْ فَارَقَهُمْ، وَحَاوَلَ تَفْرِيقَهُمْ؛ فَإِنَّهُ أَتَى أَمْرًا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ. (*).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ سَقَطَ حُكَاْمُهُمْ وَصَاعَتْ دَوْلَتُهُمْ - عَلَى عَوَجِهَا وَانْحِرَافِهَا - لَمْ يَعُدْ لَهُمْ كَرَامَةٌ - أَيُّ: لَيْتَكَ الشُّعُوبُ - كَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ، وَرَأَيْنَاهُمْ مُشْتَتِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرٍ فِي الْبِلَادِ، أَهْيَنَ الْكَرِيمِ، وَتَنَكَّرَ لَهُمُ اللَّيِّمُ، وَاحْتَقَرَ الْعَزِيزُ الْمَنِيعُ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامُ، وَحِيلَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَوَالِدَيْهِ وَذَوِيهِ. (* / ٢).

مِنْ سُبُلِ الْوَحْدَةِ فِي الْوَطَنِ: مُعَامَلَةُ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْبِرِّ وَالْقِسْطِ؛ فَإِنَّ سَمَاحَةَ الْإِسْلَامِ لَمْ تَقِفْ عِنْدَ حَدٍّ تَعَامُلِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، بَلْ هِيَ مَنْهَجُ حَيَاةِ

(١) تقدم تخريجه.

(* / ١) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَقِيدَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حُقُوقِ الْحُكَّامِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥ هـ / ٦-٦-٢٠١٤ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَقِيقَةُ مَا يَحْدُثُ فِي مِصْرَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٢ هـ / ٤-٢-٢٠١١ م.

شَامِلٌ يَسَعُ النَّاسَ جَمِيعًا؛ فَقَدْ حَفِظَ الْإِسْلَامُ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ حُقُوقَهُمْ مَا دَامُوا لَمْ يُنَاصِبُوا الْمُسْلِمِينَ الْعِدَاءَ، وَلَمْ يَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَى؛ فَهُمْ عَلَى عَهْدِهِمْ وَذِمَّتِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].
بَلْ أَمَرَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا بِحُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ، فَقَالَ -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-:
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١)؛ أَيِ: النَّاسَ عُمُومًا.
وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَأَمَرَنَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنْ نُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَأَبَاحَ لَنَا أَنْ نَبْرَّ وَنَصِلَ مَنْ يَصِلُنَا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. (*)

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم ١٩٨٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣/ رقم ٢٦٥٥ و ٣١٦٠)، وَالْحَدِيثُ رَوَى - أَيْضًا - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه بِنَحْوِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَفْجِيرَاتُ بُرُوكَيْسَلٍ بَيْنَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ | ٢٥-٣-٢٠١٦م.

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ بِسَبَبِ الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَصْلُوهُمْ، وَتَعْدِلُوا فِيهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالْبِرِّ بِهِمْ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَادِلِينَ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى عَدْلِهِمْ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَكْرَمَهُ، وَأَدْخَلَهُ فِي رَحْمَتِهِ. (*)

﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الْمُمْتَحَنَةُ: ٩].

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ بِسَبَبِ الدِّينِ، وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، وَعَاوَنُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ أَصْدِقَاءَ وَأَنْصَارًا.

وَمَنْ يَتَّخِذُهُمْ أَنْصَارًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَحْبَاءَ؛ فَأُولَئِكَ الْبُعْدَاءُ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمُ الظَّالِمُونَ لِأَنفُسِهِمْ؛ حَيْثُ وَضَعُوا الْوِلَاءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَعَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْعَذَابِ الشَّدِيدِ.

فَمَوَادَّةُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لِمُعَادِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُعْلَنِي الْحَرْبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَضِيَّةٌ تُنَاقِضُ الْإِيمَانَ؛ لِأَنَّ مَنْ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ: مُعَادَاةُ مَنْ عَادَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَحَارَبَ الْمُسْلِمِينَ.

وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ غَيْرُ قَضِيَّةِ مُعَامَلَةِ الْكَافِرِينَ غَيْرِ الْمُقَاتِلِينَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْبِرِّ وَالْقِسْطِ؛ إِذْ قَدْ يَكُونُ فِي مُعَامَلَتِهِمْ بِالْبِرِّ وَالْقِسْطِ سَبَبٌ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [سورة

وَتَحْسِبُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَيَسْلِمُونَ؛ حُبًّا فِي دِينِ اللَّهِ، وَإِعْجَابًا بِالْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا أَتْبَاعُهُ. (*)

قَالَ فِي «مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ فِي بَابِ هَدْيِ النَّبِيِّ فِي الْمُعَامَلَاتِ»: «كَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي مُعَامَلَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ: الْإِسْتِجَابَةُ التَّامَّةُ لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ؛ مِنْ صَبْرٍ نَفْسِهِ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَأَلَّا تَعْدُو عَيْنَاهُ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، وَيُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَهْجُرَ مَنْ عَصَاهُ وَتَخَلَّفَ عَنْهُ حَتَّى يَتُوبَ وَيَرَجَعَ طَاعَتَهُ، وَأَنْ يُقِيمَ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ أَتَى بِمُوجِبَاتِهَا مِنْهُمْ، وَأَنْ يَكُونُوا عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ سَوَاءً، شَرِيفُهُمْ وَضَعِيفُهُمْ.

وَكَانَ ﷺ لَا يُؤَالِي غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، وَبِكِتَابِهِ، وَبِرِسُولِهِ؛ هَدْيًا لِأُمَّتِهِ، وَاهْتِدَاءً بِهَدْيِ اللَّهِ - تَعَالَى - لَهُ وَلِأُمَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

فَهَذَا كَانَ هَدْيُهُ فِي الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الشَّرْعِيِّينَ.

وَأَمَّا فِي الْعَادَاتِ: فَكَانَ يُعَامِلُ الْجَمِيعَ بِإِحْسَانٍ؛ يَشْتَرِي مِنْهُمْ، وَيَسْتَعِيرُ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ، وَيَسْتَعْمِلُهُمْ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [سورة الممتحنة: ٩].

وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ فِي مُعَامَلَتِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ وَلَا أُمْتِهِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا
 أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وَكَانَ يَنْهَىٰ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ بِنَهْيِ اللَّهِ لَهُ وَلَا أُمْتِهِ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ
 قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا
 تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. (*) .



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُخْتَصَرٍ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيلُ عَلَى مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ» -
 مُحَاضَرَةٌ ١١ - الأربعاء ٢٥ من جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٦-٣-٢٠١٤ م.

مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ وَحْدَةِ الْوَطَنِ: نَبْذُ الْعُنْصَرِيَّةِ وَهَدْمُ الْعَصَبِيَّةِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ لِتَحْقِيقِ الْوَحْدَةِ فِي الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ: نَبْذُ الْعَصَبِيَّاتِ وَالْعُنْصَرِيَّةِ؛ فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ جَمِيعًا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَجَعَلَ أَرْفَعَهُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَتَقَاهُمْ لَهُ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، فَالْمَجْمُوعَةُ الْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا تَلْتَقِي عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَيَبْنِي النَّاسُ أُخُوَّةَ إِنْسَانِيَّةٍ عَامَّةً، وَجَعَلْنَاكُمْ جُمُوعًا عَظِيمَةً وَقَبَائِلَ مُتَعَدِّدَةً؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي قُرْبِ النَّسَبِ وَبُعْدِهِ، لَا لِلتَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ وَالتَّعَالِي بِالْأَحْسَابِ، إِنَّ أَرْفَعَكُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَتَقَاكُمْ لَهُ.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عِلْمًا كَامِلًا شَامِلًا بِظَوَاهِرِكُمْ، وَيَعْلَمُ أَنْسَابَكُمْ، خَيْرٌ عَلَى سَبِيلِ الشُّهُودِ وَالْحُضُورِ بِبَوَاطِنِكُمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ، فَاجْعَلُوا التَّقْوَى زَادَكُمْ إِلَى مَعَادِكُمْ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ [الحجرات: ١٣].

لَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ، وَلَا فَضْلَ لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَطَاعَتِهِ.

وَأَعْلَنَ النَّبِيُّ ﷺ حُرْمَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَفِي يَوْمِ النَّحْرِ، وَفِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

وَأَشْهَدَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْبَلَاغِ الْمُبِينِ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ».

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

يَرْفَعُ إصْبَعَهُ السَّبَّاحَةَ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إِلَيْهِمْ: «اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ»^(١).

فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ.

وَأَخْرَجَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى يَدَيْهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَصَارُوا عَابِدِينَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُوَحِّدِينَ، وَأَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» -^(٢): «أَيُّهَا النَّاسُ! كُلُّكُمْ لِأَدَمَ، وَأَدَمُ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ، أَلَا لَا فَضْلَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٦٧ و ١٧٤١) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ١٦٧٩)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، وَتَقَدَّمَ أَيضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرٍ وَابْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد» (٥ / ٤١١، رَقْم ٢٣٤٨٩)، وَأَخْرَجَهُ أَيضًا ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الْمُسْنَدِ» (رَقْم ٢٣٩)، وَالْحَارِثُ ابْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (١ / رَقْم ٥١)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: أَبُو نَعِيمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٦ / رَقْم ٧٣٠٠)، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي

لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرَسَى دَعَائِمَ الدِّينِ، وَأَقَامَ أَسَاسَ الْمِلَّةِ الْمَتِينِ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَّ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ.

بَعْدَ أَنْ أَرَسَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَعَالِمَ الْمِلَّةِ الْغَرَاءِ، وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَحَجَّةَ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

=

مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبْلَغْتُ؟»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٥ / رَقْم ٤٧٤٩)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣ / ١٠٠، ترجمة ٢١٥)، وَابِيهَقِي فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧ / رَقْم ٤٧٧٤)، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ صَحِيحُهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦ / رَقْم ٢٧٠٠)، وَفِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٣ / رَقْم ٢٩٦٤).

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ حَذَرَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَبَيَّنَ أَنَّ «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عُمِّيَّةٍ، يُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ، وَيَقْتُلُ لِلْعَصَبِيَّةِ؛ فَقَتَلَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ»^(١).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ مُنْتَنَةٌ، وَأَنَّهَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»^(٢)، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ لَعَّابًا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ - كَسَعَهُ: أَيَّ ضَرْبَهُ عَلَى دُبُرِهِ أَوْ عَلَى عَجِيزَتِهِ بِيَدِهِ، أَوْ بِرِجْلِهِ، أَوْ بِعُرْضِ سَيْفِهِ -، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَى الْقَوْمُ.

فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ!
وَسَمِعَهَا النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ، فَخَرَجَ، فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟».
فَلَمَّا أَخْبَرَ ﷺ، قَالَ: «دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ».

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ١٨٤٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفُظٍ: «...، مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقَتَلَ، فَقَتَلَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ...» الْحَدِيثُ، وَفِي رَوَايَةٍ: «...، مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي...».

قال محمد فؤاد عبد الباقي في هامش «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٧٦ - ١٤٧٧ / التعليق ٥) في قوله: (لعصبة)، قال: «عَصَبَةُ الرَّجُلِ: أَقَارِبُهُ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْصُونَهُ وَيَعْتَصِبُ بِهِمْ، أَي: يُحِيطُونَ بِهِ وَيَشْتَدُّ بِهِمْ، وَالْمَعْنَى: يَغْضَبُ وَيُقَاتِلُ وَيَدْعُو غَيْرَهُ كَذَلِكَ؛ لَا لِنُصْرَةِ الدِّينِ وَالْحَقِّ بَلْ لِمَحْضِ التَّعَصُّبِ لِقَوْمِهِ وَلِهَوَاهُ كَمَا يُقَاتِلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يُقَاتِلُونَ لِمَحْضِ الْعَصَبِيَّةِ».

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٣٥١٧ و ٤٩٠٥ و ٤٩٠٧)، و«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (رَقْم ٢٥٨٤).

حَوْلَ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - حَوْلَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ تَدَاعَى كَلْقَبَيْنِ - تَدَاعَى مَنْ تَدَاعَى عَصِيَّةً، فَرَفَضَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُهَاجِرِينَ فِي كِتَابِهِ، وَمَدَحَ الْأَنْصَارَ، وَمَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ وَالرَّسُلَ الْأَنْصَارَ فِي صَحِيحِ سُنَّتِهِ، وَمَدَحَ الْمُهَاجِرِينَ.

وَلَكِنْ لَمَّا تَدَاعَوْا حَوْلَ الْأَسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ عَصِيَّةً غَضِبَ ﷺ، وَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟! دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُتِنَةٌ»^(١)، «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَكَفَى بِالْمُسْلِمِ إِثْمًا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(٢).

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْإِسْلَامَ لِحِمَةً وَسُدًى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُسْلِمُونَ شَعَارُهُمُ الَّذِي يَتَعَصَّبُونَ حَوْلَهُ هُوَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَنَا «أَنَّ أَقْوَامًا سَيَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا؛ إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ»، فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّمَا «هُوَ كَالْجَعَلِ يَدْهَدُهُ الْخُرءُ بِفِيهِ»، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنَزَلَتَهُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ؛ كَالْجَعَلِ، وَهُوَ الْجُعْرَانُ

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ «رَقْم ٢٥٦٤»، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، بِلَفْظٍ: «...، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ».

وَالْحَدِيثُ بِنَحْوِهِ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، بِلَفْظٍ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ...» الْحَدِيثَ، وَقَوْلُهُ: «لَا يُسْلِمُهُ» أَي: لَا يَتْرَكُهُ مَعَ مَا يُؤْذِيهِ، بَلْ يَنْصُرُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «كَشَفِ الْمَشْكَلِ» (٢/ ٤٨٤).

الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ، «يُدْهِدُهُ»: أَبِي: يُدْخِرُ الْخُرَّ - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -
«بِفِيهِ»؛ مِنْ وَضَاعَتِهِ وَحَقَارَتِهِ.

«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، وَإِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ، أَوْ
لَيَكُونَنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَهْوَنَ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهِدُهُ الْخُرَّ بِفِيهِ»^(١).

بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ خُطُورَةُ الْعَصِيَّةِ، وَخُطُورَةُ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى الشَّعَارَاتِ الْحَزِيَّةِ،
وَالِإِلَى الْإِنْتِمَاءَاتِ الضَّيْقَةِ الرَّدِيَّةِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَأَعِضُوهُ وَلَا تُكْنُوهُ»، وَفِي
رَوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «فَأَعِضُوهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تُكْنُوا»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٥١١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رَقْم ٣٩٥٥ و ٣٩٥٦)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَفْظُ أَبُو دَاوُدَ: «...، لَيَدْعَنَّ رِجَالٌ فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ
جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»، وَرَوَى عَنْ
حَدِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوَهُ.

وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ إِسْنَادُهُ، وَصَحَّحَ مَتْنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣/
رَقْم ٢٩٢٢ و ٢٩٦٥).

(٢) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنَفِ» (٧/ رَقْم ٣٧١٨٢ و ٣٧١٨٣)، وَأَحْمَدُ فِي
«الْمُسْنَدِ» (٥/ ١٣٦، رَقْم ٢١٢٣٣ و ٢١٢٣٤ و ٢١٢٣٦)، وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ
الْمُفْرَدِ» (رَقْم ٩٦٣)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٨/ ١٣٦ - ١٣٧) و (٩/ ٣٥٧ - ٣٥٨)،
وَابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٣١٥٣/ الإحسان)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١/ رَقْم
٥٣٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»
(رَقْم ٧٤٥)، وَفِي «الصَّحِيحَةِ» (١/ رَقْم ٢٦٩).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ انْتَمَى أَوْ انْتَسَبَ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ عَصِيَّةٍ بِشَعَارٍ مِنْ شَعَارَاتِ الْعَصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَهَذَا جَزَاؤُهُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ، «فَأَعِضُوهُ - فَأَمِصُوهُ - بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تُكْنُوهُ»، هَكَذَا ظَاهِرًا، وَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْعَى لِفُحْشٍ، وَلَكِنْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا هُنَالِكَ مِنْ قُبْحِ الْعَصِيَّةِ بِانْتِمَائِهَا.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ بَيَّنَّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لِآدَمَ، وَأَنَّ آدَمَ قَدْ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ، «كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ، فَلَا يَفْخَرَنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(١).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢)، وَ«مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(٣)، وَأُورِدَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّارَ.

إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَصَّبُونَ إِلَى الْعَصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ مَقْتَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ إِذْ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ، عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ يَرُدُّ الْأَمْرَ إِلَى نِصَابِهِ^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٥١١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رَقْم ٣٩٥٥ و ٣٩٥٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلَفْظُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِيَدَعَنَّ رِجَالُ فَخْرِهِمْ بِأَقْوَامٍ...» الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ٢٨٦٥)، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ٩١)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلَفْظُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ».

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ٢٨٦٥)، مِنْ حَدِيثِ: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَمَّا عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَيَّرَهُ بِلُونِ أُمِّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ.
وَاشْتَكَى بِلَالٌ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فَيْكَ
جَاهِلِيَّةٌ»^(١).

النَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَّ أَنَّ «مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْعَصْبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ أَوْرَدَهُ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ النَّارَ».

قَالُوا: وَإِنْ صَلَّى وَإِنْ صَامَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَإِنْ صَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٠ و ٢٥٤٥ و ٦٠٥٠)، ومسلم (رقم ١٦٦١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي
ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟
إِنَّكَ امْرُؤٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ...» الحديث.

وأما الرجل الذي عيره أبو ذر، وقوله له: «يا ابن السوداء»، فأخرجه البيهقي في «شعب
الإيمان» (٧ / رقم ٤٧٧٢)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ بِلَالًا بِأُمِّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ
السَّوْدَاءِ، وَإِنْ بِلَالًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَغَضِبَ، فَجَاءَ أَبُو ذَرٍّ وَلَمْ يَشْعُرْ فَأَعْرَضَ
عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ... الحديث، وانظر: «غوامض الأسماء المبهمة» لابن بشكوال (٢ /
٨٤٧)، و«شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١ / ٨٧).

(٢) هو جزء مِنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل، الذي أخرجه الترمذي (رقم
٢٨٦٣ و ٢٨٦٤)، بلفظ: «... مَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ، وَإِنْ صَلَّى
وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ» الحديث، زاد
أحمد في «المسند» (٤ / ١٣٠ و ٢٠٢): «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».
والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / رقم ٥٥٢ و ٨٧٧).

لَا انْتِمَاءَ إِلَّا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، أَعَزَّنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، وَلَيْسَ
مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةٍ وَلَا قَبِيلَةٍ وَلَا شَعْبٍ وَلَا وَطَنٍ؛
لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ أَنْسَابِنَا مَا نَصِلُ بِهِ أَرْحَامَنَا، فَقَالَ: «تَعَلَّمُوا
مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»^(١)، وَلَكِنْ لَا عَصَبِيَّةَ، وَلَا انْتِمَاءَ إِلَى
الْجَاهِلِيَّةِ بِالْعَصَبِيَّةِ، وَإِنَّمَا الْإِنْتِمَاءُ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي أَخْرَجَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؛ لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ كُلُّ
النَّاسِ أَنَّهُمْ لِأَدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ، وَأَنَّهُ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى
عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى
أَحْمَرَ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ، إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ^(٢).

وَنَبِيَّكُمْ ﷺ يُخَبِّرُكُمْ مُنْذِرًا وَمُحَذِّرًا، فَيَقُولُ ﷺ: «مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ
يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(٣).

وَقَدْ نَادَى النَّبِيُّ ﷺ الْعَبَّاسَ -عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ- وَنَادَى عَمَّتَهُ صَفِيَّةَ،
وَنَادَى ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَنِ الصَّحَابَةِ وَالْأَلِ أَجْمَعِينَ-:

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (رَقْم ١٩٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَوَّدَ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
«الصَّحِيحَةِ» (١/ رَقْم ٢٧٦).

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ٢٦٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النُّووي فِي «شرح
صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٧/ ٢٢ - ٢٣) فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»،
قَالَ: «مَعْنَاهُ مَنْ كَانَ عَمَلُهُ نَاقِصًا لَمْ يُلْحِقْهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّ
عَلَى شَرَفِ النَّسَبِ وَفَضِيلَةِ الْأَبَاءِ وَيَقْصُرَ فِي الْعَمَلِ».

«اعْمَلُوا.. لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» (١).

لَا أَحْسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا أَنْسَابَ، وَإِنَّمَا هُوَ الدِّينُ، فَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ مُسْلِمًا مُوقِنًا مُحْسِنًا؛ فَلَهُ الْمَقَامُ الْأَسْنَى عِنْدَ رَبِّهِ وَهُوَ مُعَزَّزٌ مُكْرَّمٌ، وَمَنْ جَاءَ -وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا قُرَشِيًّا- بِالْعَمَلِ الطَّالِحِ؛ فَلَهُ الْمَكَانُ الْأَرْدَى وَلَا كَرَامَةَ؛ لِأَنَّهُ لَا تَفَاضُلَ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْإِنْتِمَاءَ إِنَّمَا هُوَ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَدَّهُ، إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، سَوَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بَيْنَنَا جَمِيعًا فِي الْحُقُوقِ، وَرَفَعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ دَرَجَاتٍ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَمَنْ كَانَ تَقِيًّا -وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا-؛ كَانَتْ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَوْقَ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ -وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا قُرَشِيًّا- (*).



(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٧٥٣ و ٤٧٧١)، ومسلم (رقم ٢٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٠ هـ/

الْوَحْدَةُ مِنْ أَعْظَمِ دَعَائِمِ أَوَّلِ دَوْلَةٍ فِي الْإِسْلَامِ

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ شَرَعَ فِي تَنْظِيمِ أُمُورِ الْمُجْتَمَعِ وَبِنَاءِ مَوْسَسَاتِهِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَضْمَنُ لَهُ الْأَمْنُ وَالِاسْتِقْرَارَ دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا^(١).

وَشَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ فِي تَشْيِيتِ دَعَائِمِ الدَّوْلَةِ الْجَدِيدَةِ عَلَى قَوَاعِدَ مَتِينَةٍ وَأُسُسٍ رَاسِخَةٍ؛ فَكَانَتْ أُولَى خُطَوَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ الْاهْتِمَامَ بِبِنَاءِ دَعَائِمِ الْأُمَّةِ كِبْنَاءِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِالْمَدِينَةِ، وَالْمُؤَاخَاةَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْحُبِّ فِي اللَّهِ، وَإِصْدَارِ الْوَثِيقَةِ الَّتِي يُنْظَمُ بِهَا الْعَلَاqَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَمُشْرِكِي الْمَدِينَةِ، وَإِعْدَادِ جَيْشٍ لِحِمَايَةِ الدَّوْلَةِ، وَالسَّعْيَ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا، وَالْعَمَلَ عَلَى حَلِّ مَشَاكِلِ الْمُجْتَمَعِ الْجَدِيدِ، وَتَرْبِيَّتِهِ عَلَى الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ فِي شُؤْنِ الْحَيَاةِ كَافَّةً^(*).

لَقَدْ كَانَ لَا بُدَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَرَسَى الْمَسْجِدَ -مَجْمَعَ الْمُسْلِمِينَ

(١) «صَحِيحُ الْأَثَرِ وَجَمِيلُ الْعَبَرِ»: (ص ١٦٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: بِنَاءُ

الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ)، الْإِثْنَيْنِ ٢١ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ | ١-١٠-٢٠١٨م.

الرُّوحِيَّ - أَنْ يُطْلَ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْجَدِيدِ الَّذِي تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ بِفَضْلِ هِجْرَتِهِ إِلَيْهَا، فَيُقِيمَهُ عَلَى قَاعِدَةٍ صُلْبَةٍ رَاسِخَةٍ، لَا تَعْصِفُ بِهَا الْأَهْوَاءُ وَالْمُنَازَعَاتُ، وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهَا الْعَصَبِيَّاتُ وَالْمُنَافَسَاتُ الْقَبَلِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْمُجْتَمَعَ هُوَ دِعَامَةُ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي كَانَ بِصَدَدِ تَكْوِينِهَا.

كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْمَدِينَةِ خِلَافَاتٌ وَاصْطِدَامَاتٌ مُسَلَّحَةٌ أَرْهَقَتْهُمْ قَدِيمًا، وَكَانَ آخِرُهَا (يَوْمَ بُعَاثَ) الْمَشْهُورَ الَّذِي التَّهَمَ كَثِيرًا مِنْ سَادَاتِهِمْ وَنُبَلَاءِهِمْ، وَالْحَقَّ بِالْطَّرْفَيْنِ الْمُتَنَازِعَيْنِ خَسَائِرٌ مَادِّيَّةٌ لَا تُقَدَّرُ.

وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ فِي فَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ؛ إِذْ تَرَكُوا دُورَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي مَكَّةَ، وَحَالَ كُفَّارٌ قُرَيْشٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ثُرَوَاتِهِمْ، وَجَرَدُوهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُونَ عَلَى مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨].

وَكَانَ فِي الْأَنْصَارِ فَضْلٌ ثَرَاءٍ مِنْ زَرْعٍ وَضَرْعٍ وَصَامِتٍ وَنَاطِقٍ يُمكنُ أَنْ يَسُدَّ مِنْ عَوَزِ الْمُهَاجِرِينَ وَيُقِيمَ فِي أَوْدِهِمْ، فَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ انْطِلَاقًا مِنْ رُوحِ التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّضَامُنِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلِيَضَعَ الَّذِينَ رَحَبُوا بِمَقْدَمِهِ وَاحْتَفُوا بِهِجْرَتِهِ أَمَامَ مَسْئُولِيَّاتِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ؛ رَأَى ﷺ أَنْ يَسْتَأْصِلَ شَافَةَ الْأَحْقَادِ الْمَوْرُوثَةِ فِيهِمْ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْفَقْرِ الْمُهَاجِمِ الْجَائِمِ عَلَى صُدُورِ أَكْثَرِ الْمُهَاجِرِينَ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْقِدَ الْأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ فَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَتَّخُوا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ؛ أُخُوَّةً عَمَلِيَّةً جَامِعَةً مُوحَّدةً تَمْسَحُ الْأَنَانِيَّةَ الْمُسْتَثِيرَةَ الْبَغِيضَةَ، وَتَبْذُلُ الْمَالَ وَالْدَّمَ، وَتَقْبُرُ الْعَصَبِيَّاتِ الذَّمِيمَةَ الْفَارِغَةَ، وَتَحْيَا بِالْإِسْلَامِ وَلِلْإِسْلَامِ.

وَكَانَتْ دَرْسًا عَمَلِيًّا خُلُقِيًّا فِي الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ النَّظِيفَةِ الشَّرِيفَةِ الْهَادِفَةِ الْهَادِئَةِ، لَمْ يَتَخَلَّلْهُ اسْتِعْلاَلٌ وَاسْتِزَافٌ، وَلَمْ يَتَسَرَّبْ إِلَيْهِ طَمَعٌ أَوْ جَشَعٌ فَيُفْسِدُ، وَلَا يَبْلُغَ قَلَمٌ وَصْفَ الشَّأْوِ الَّذِي بَلَغَتْهُ هَذِهِ الْأُخُوَّةُ وَسَجَلَتْهُ فَرِيدًا فِي سَمْعِ التَّارِيخِ وَبَصَرِهِ، ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ فَيْضًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَتَبَعًا مِنْ خَيْرِ الْهَدْيِ الْمُحَمَّدِيِّ، كَانَتْ قُوَّةً وَوَحْدَةً أَحْكَمَهَا دِينَ التَّوْحِيدِ.

وَهَكَذَا اسْتَطَاعَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَقْلِبَ الْعَدَاءَ إِخَاءً، وَالْحَقْدَ حُبًّا، وَيُحَوِّلَ الْأَثَرَةَ إِلَى إِثَارٍ جَمِيلٍ حَمِيدٍ فَرِيدٍ، فَأَشَاعَ فِي مَدِينَتِهِ الْمُثُلَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي دُنْيَا النَّاسِ التَّكَافُلَ الْاجْتِمَاعِيَّ التَّلَقَّائِيَّ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ الْوَاجِدِينَ وَالْفُقَرَاءِ الْفَاقِدِينَ.

وَبِذَلِكَ أَثَبَّتَ أَمَامَ الْعَالَمِ كُلِّهِ أَوَّلَ تَجَرِبَةٍ مُتَكَافِلَةٍ مُتَضَامِنَةٍ مُتَحَابَّةٍ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَأَرَسَى بِهَا الْقَاعِدَةَ الْكُبْرَى فِي بِنَاءِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَمْ تَنْبَعِثْ مِنَ الْفَلَسَفَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَلَا الْأَفْكَارِ وَالْمَذَاهِبِ الْمَادِّيَّةِ بَلْ انْبَثَقَتْ مِنْ صَمِيمِ الْإِسْلَامِ وَمِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ نُصُوصُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، و﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

لَقَدْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْمُوَاسَاةِ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ يَتَسَابَقُونَ فِي مُوَاخَاةِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى يُثَوِّلَ الْأَمْرُ إِلَى الْاِقْتِرَاعِ.

وَكَانُوا يُحَكِّمُونَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَثَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَكُرَاعِهِمْ، وَيُؤْثِرُونَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ يَقُولُ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَنْظِرْ شَطْرَ مَالِي فَخُذْهُ، وَتَحْتِيْ امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَعْجَبُ إِلَيْكَ حَتَّى أَطْلُقَهَا! وَيَقُولُ الْمُهَاجِرُ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَدُلَّنِي عَلَى السُّوقِ.

فَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِيِّ الْإِيثَارُ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِيِّ التَّعَفُّفُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ.

وَكَانَ هَذَا الْإِخَاءُ أَسَاسًا لِإِخَاءِ إِسْلَامِيٍّ عَالَمِيٍّ فَرِيدٍ مِنْ نَوْعِهِ، وَمُقَدِّمَةٌ لِنَهْضَةِ أُمَّةٍ ذَاتِ دَعْوَةٍ وَرِسَالَةٍ تَنْطَلِقُ لِصَيَاغَةِ عَالَمٍ جَدِيدٍ قَائِمٍ عَلَى عَقَائِدٍ صَحِيحَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَأَهْدَافٍ صَالِحَةٍ مُنْقَذَةٍ لِلْعَالَمِ مِنَ الشَّقَاءِ وَالتَّنَاحُرِ وَالِانْتِحَارِ، وَعَلَى عِلَاقَاتٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِخَاءِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْعَمَلِ الْمُشْتَرَكِ.

وَكَانَ هَذَا الْإِخَاءُ الْمَحْدُودُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ طَلِيعَةً لِاسْتِثْنَائِ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، لِذَلِكَ خَاطَبَ اللَّهُ -تَعَالَى- تِلْكَ الثَّلَاةَ الْبَشَرِيَّةَ فِي مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] (١).

لَقَدْ سَاهَمَ نِظَامُ الْمُوَاخَاةِ فِي رِبْطِ الْأُمَّةِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فَقَدْ أَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ هَذِهِ الصَّلَةَ عَلَى أَسَاسِ الْإِخَاءِ الْكَامِلِ بَيْنَهُمْ.

إِنَّ هَذَا الْمُجْتَمَعَ الَّذِي تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ مِنْ هَذَيْنِ الْعُنْصُرَيْنِ: الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، كَانَ أَسَاسُ بِنْيَتِهِ الْحُبُّ، فَلَقَدْ أَقَامَ الْإِسْلَامُ

الْمُجْتَمَعَ الْمَدَنِيَّ عَلَى أَسَاسِ الْحُبِّ وَالتَّكَاْفُلِ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(١).

فَالْتَوَادُّ وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوَاصُلُ وَالْمَرْحَمَةُ أَسَاسُ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعَ؛ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ، غَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ، حَاكِمِهِمْ وَمَحْكُومِهِمْ.

وَقَدْ تَكَفَّلَتْ تَعَالِيمُ الْإِسْلَامِ بِتَدْعِيمِ الْحُبِّ وَإِشَاعَتِهِ فِي الْمُجْتَمَعَ، فَبِالْحَدِيثِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢).

فَيَعِيشُ الْمُؤْمِنُونَ بَعِيدًا عَنِ الْأَثَرَةِ وَالِاسْتِغْلَالِ، وَهُمْ يَتَعَاوَنُونَ فِي مُوَاجَهَةِ أَعْبَاءِ الْحَيَاةِ، «فَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»^(٣)؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

«وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٤). كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠ / ٤٣٩، رقم ٦٠١١)، ومسلم في «الصحيح»:

(٤ / ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦)، من حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «متفق عليه».

أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٥ / ٩٧، رقم ٢٤٤٢)، ومسلم في «الصحيح»: (٤ /

١٩٩٦، رقم ٢٥٨)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٤ / ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً»

عَلَاَقَاتُ الْمُؤْمِنِينَ قَائِمَةٌ عَلَى الْإِحْتِرَامِ الْمُتَبَادَلِ، لَا يَسْتَعْلِي غَنِيٌّ عَلَى فَقِيرٍ، وَلَا حَاكِمٌ عَلَى مَحْكُومٍ، وَلَا قَوِيٌّ عَلَى ضَعِيفٍ، «بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». كَمَا رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ^(١).

قَدْ تَفَتَّرَ الْعَلَاَقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَأَخِيهِ، وَقَدْ تَنْقَطِعُ سَاعَةٌ غَضَبٍ، لَكِنَّ انْقِطَاعَهَا لَا يَسْتَمِرُّ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢).

وَتُدْعَمُ أُسُسُ الْحُبِّ بِالصَّلَةِ وَالصَّدَاقَةِ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»^(٣).

وَيَضَعُ الْغَنِيُّ أَمْوَالَهُ فِي خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ وَسَدِّ الثَّغَرَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي بَنَائِهِ الْاِقْتِصَادِيِّ بِسَبَبِ التَّفَاوُتِ فِي تَوَزِيعِ الثَّرْوَةِ، فَيُخْرِجُ زَكَاةَ أَمْوَالِهِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ، وَيُوَاسِي الْمُحْتَاجِينَ بِأَمْوَالِهِ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَفْرَحُونَ إِذَا كَثُرَتْ ثَرَوَتُهُ؛ إِذْ تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْخَيْرِ وَالْمُوَاسَاةِ.

=

مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...، الْحَدِيث.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ١٩٨٦، رَقْم ٢٥٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (١٠ / ٤٨١، رَقْم ٦٠٦٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»:

(٤ / ١٩٨٣، رَقْم ٢٥٥٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»: (ص ١٥٥، رَقْم ٥٩٤)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «الْمُسْنَدِ»:

(١١ / ٩، رَقْم ٦١٤٨)، وَابِیْهَقِي فِي «الْكِبْرَى»: (٦ / ١٦٩، رَقْم ١١٩٤٦).

وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»: (١ / ٥٧٧، رَقْم ٣٠٠٤).

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ نَحْلًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُ حَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُ حَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ؛ فَضَعْتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ!!».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ - أَيْ: أَنْ أَجْرَهَا يَرْوَحُ وَيَغْدُو عَلَيْكَ -، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ».

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: «أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ!!».

فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ^(١).

كَانَ أَغْنِيَاءُ الصَّحَابَةِ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ مُسْتَخْلِفُونَ عَلَى الْمَالِ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ، فَإِذَا وَجَدُوا ثَغْرَةً تَعْجِزُ الدَّوْلَةَ عَنْ سَدِّهَا أَوْ لَا تَنْتَبِهُ لَهَا؛ بَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَدِّهَا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي التَّارِيخِ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه تَصَدَّقَ بِقَافِلَةٍ ضَخْمَةٍ بِأَلْفِ بَعِيرٍ تَحْمِلُ الْبُرَّ وَالزَّيْتَ وَالزَّيْبَ.. تَصَدَّقَ بِهَا جَمِيعَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ عِنْدَمَا حَلَّتِ الضَّائِقَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي خِلَافَةِ الصَّدِّيقِ

(١) «متفق عليه».

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (٣/ ٣٢٥، رَقْم ١٤٦١)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٢/

٦٩٣ - ٦٩٤، رَقْم ٩٩٨).

ﷺ، وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ التُّجَّارُ خَمْسَةَ أَضْعَافٍ ثَمَنِهَا رِبْحًا، فَقَالَ: «أُعْطِيتُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ!!».

فَقَالَ التُّجَّارُ: «مَنْ الَّذِي أَعْطَاكَ وَمَا سَبَقْنَا إِلَيْكَ أَحَدٌ، وَنَحْنُ تُجَّارُ الْمَدِينَةِ؟!».

قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا».

ثُمَّ قَسَمَهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ^(١)!!

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي سِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ، لِذَلِكَ لَمْ تَظْهَرْ الرُّوحُ الطَّبَقِيَّةُ، وَلَمْ يَحْدُثِ الصَّرَاعُ الطَّبَقِيُّ، وَلَمْ يَتَكَتَّلِ النَّاسُ وَفَقَ مَصَالِحِهِمُ الْاِقْتِصَادِيَّةَ لِحَرْبٍ مِنْ فَوْقِهِمْ أَوْ تَحْتَهُمْ.

فَتَأَمَّلْ كَثِيرًا فِي هَذَا الْأَمْرِ الثَّانِي الَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنَ الْمُؤَاخَاةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَصَارَ الْمُجْتَمَعُ

(١) أخرجه الآجري في «الشریعة»: (٤/ ٢٠١٢-٢٠١٤، رقم ١٤٨٦)، بإسناد حسن، عن

ابن عباسٍ قال:

«قَحَطَ الْمَطَرُ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَقَالُوا: السَّمَاءُ لَمْ تُمْطِرْ، وَالْأَرْضُ لَمْ تَنْبُتْ، وَالنَّاسُ فِي شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: «انْصَرِفُوا وَاصْبِرُوا فَإِنَّكُمْ لَا تُمْسُونَ حَتَّى يُفْرَجَ اللَّهُ عَنْكُمْ».

فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا أَنْ جَاءَ أَجْرَاءُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ﷺ مِنَ الشَّامِ، فَجَاءَتْهُ مِائَةُ رَا حِلَةٍ طَعَامًا، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى بَابِ عُثْمَانَ ﷺ، ... وذكر الحديث.

لُحْمَةً وَاحِدَةً، حَتَّى صَارَ الْمُجْتَمَعُ رُوحًا وَاحِدَةً فِي جَسَدٍ، وَقَلْبًا وَاحِدًا نَابِضًا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﷺ (١٠٠).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ عَمِلَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الْهَجْرَةِ هُوَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ، وَالْعَمَلُ الثَّانِي هُوَ الْمُوَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

«الْعَمَلُ الثَّالِثُ الَّذِي قَامَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ: هُوَ «كِتَابَةُ الصَّحِيفَةِ».

الصَّحِيفَةُ كَانَتْ فِيهَا بُنُودٌ مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُسْلِمِينَ، وَبُنُودٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمُشْرِكِينَ، وَبُنُودٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْيَهُودِ، وَكَانَ فِي الصَّحِيفَةِ بُنُودٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ.

بِهَذِهِ الْحِكْمَةِ أَرْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوَاعِدَ مُجْتَمَعٍ جَدِيدٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ أَثَرًا لِلْمَعَانِي الَّتِي كَانَتْ يَتِمَّتُ بِهَا أَوْلِيكَ الْأَمْجَادِ بِفَضْلِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

«لَقَدْ نَظَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ، وَكَتَبَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا أَوْرَدَتْهُ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ، وَاسْتَهْدَفَ الْكِتَابُ أَوِ الصَّحِيفَةُ تَوْضِيحَ التِّرَامَاتِ جَمِيعِ الْأَطْرَافِ دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَتَحْدِيدَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَقَدْ سُمِّيَتْ فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْمُوَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)، الْأَرْبَعَاءُ ٢٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ/ ٣-١٠-

الْمَصَادِرِ الْقَدِيمَةِ بِ(الْكِتَابِ أَوْ الصَّحِيفَةِ)، وَأُطْلِقَتِ الْأَبْحَاثُ الْحَدِيثَةُ عَلَيْهَا لَفْظَةُ الدُّسْتُورِ أَوْ الْوَثِيقَةِ.

لَقَدْ احْتَجَّ بِالْوَثِيقَةِ الْفُقَهَاءُ وَبَنَوْا عَلَيْهَا أَحْكَامَهُمْ، كَمَا أَنَّ بَعْضَهَا وَرَدَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيِّ.

ثُمَّ إِنَّ التَّشَابُهَ الْكَبِيرَ بَيْنَ أُسْلُوبِ الْوَثِيقَةِ وَأَسَالِيبِ كُتُبِ النَّبِيِّ ﷺ الْأُخْرَى يُعْطِيهَا تَوْثِيقًا آخَرَ^(١).

اعْتَبَرَتِ الصَّحِيفَةُ -صَحِيفَةُ الْمَدِينَةِ- الْيَهُودَ جُزْءًا مِنْ مُوَاطِنِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعُضُورًا مِنْ عَنَاصِرِهَا؛ لِذَلِكَ قِيلَ فِي الصَّحِيفَةِ: مَنْ تَبَعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرٍ عَلَيْهِمْ.. كَمَا فِي الْمَادَّةِ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ.

ثُمَّ زَادَ هَذَا الْحُكْمَ إِضَاحًا كَمَا فِي الْمَادَّةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ وَمَا يَلِيهَا؛ حَيْثُ نَصَّ فِيهَا صَرَاحَةً عَلَى أَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَبِهَذَا نَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ اعْتَبَرَ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي أَرْجَائِهِ مُوَاطِنِينَ، وَأَنَّهُمْ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا قَائِمِينَ بِالْوَاجِبَاتِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَيْهِمْ.

(١) «المجتمع المدني في عهد النبوة»: (ص ١٠٧-١١٢)، و«السيرة النبوية الصحيحة»:

وَجَعَلَتِ الصَّحِيفَةُ الْفَصْلَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ بِالْمَدِينَةِ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا
وَالِى رَسُولِهِ ﷺ.

بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَعَقْدِ الْمُؤَاخَاةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَبِكِتَابَةِ
الْوَثِيقَةِ مَعَ الْيَهُودِ.. يَكُونُ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَرَسَى قَوَاعِدَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
عَلَى أُسُسٍ مَتِينَةٍ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّلَاثُونَ: كِتَابَةُ
الصَّحِيفَةِ)، الْخَمِيسُ ٢٤ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ | ٤-١٠-٢٠١٨م.

الْوَحْدَةُ وَعَدَمُ التَّنَازُعِ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ

إِنَّ التَّفَرُّقَ وَالْإِخْتِلَافَ وَالشَّقَاقَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ وَالضَّعْفِ، وَمِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: عَدَمُ النَّزَاعِ وَالْإِخْتِلَافِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ أَلَّاهُ مَعَ الصَّائِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. (*)

وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ الْإِخْتِلَافَ يُؤَدِّي إِلَى عَجْزِكُمْ وَضَعْفِكُمْ وَجُبْنِكُمْ وَذَهَابِ قُوَّتِكُمْ وَدَوْلَتِكُمْ. (*) (٢).

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَأْمُرُ الْقَوْمَ إِذَا مَا أَرَادُوا النَّصَرَ أَلَّا يَتَنَازَعُوا، فَرَفَعَ النَّزَاعَ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: أَنْ يُثْبِتَ الْقَوْمُ، وَأَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَتَأَتَّى مِنْهُمْ طَاعَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ فَلْيَتَفَتَّ النَّزَاعُ عَنْ هَؤُلَاءِ حَتَّى يَتَأَتَّى لَهُمُ النَّصْرُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ! فَإِنَّ الْهَوَى قَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الْقُلُوبِ، وَإِنَّ الْعُجْبَ بِالذَّاتِ، وَإِنَّ الْإِحْسَاسَ بِالنَّفْسِ قَدْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شُرُوطُ النَّصْرِ وَالتَّمَكُّنِ» - الْجُمُعَةُ ٦ مِنْ جُمَادَى الثَّانِي

١٤٢٥هـ / ٢٣-٧-٢٠٠٤م.

(*) (٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْفِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأنفال: ٤٦].

اسْتَحَوْذَ عَلَى تِلْكَ الْقُلُوبِ، فَأَصْبَحَتْ فِي قَبْضَةِ الْأَنَا، لَا تَخْلُصُ مِنْهَا أَبَدًا، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفُكَّ قِيودَهَا مِمَّا بَدَّلَتْ بِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَقْيَادِ الَّتِي قِيدَتْ بِهِ مِنْ حُبِّ الذَّاتِ وَالْإِحْسَاسِ بِهَا.

﴿وَلَا تَنْزَعُوا﴾: فَإِنَّكُمْ إِنْ تَنَازَعْتُمْ فَشِلْتُمْ، ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾: وَآتَى بِالْفَاءِ تَعْقِيًّا؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْفَشَلَ يَأْتِي بِعَقَبِ النَّزَاعِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ، فَأَتَى بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْفَاءِ هَاهُنَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ هُنَالِكَ مِنْ فَاصِلٍ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

بَلْ هَذَا مُرْتَبٌّ عَلَى هَذَا تَرْتِيبًا حَالِيًّا بِغَيْرِ مَا فَضَّلَ فِي الْآنِ وَلَا فِي الزَّمَانِ، فَيَقُولُ رَبَّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: يَعْنِي وَتَذْهَبَ قُوَّتُكُمْ، فَإِذَا مَا هُنْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بَعْدَ مَا هَانَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِأَمْرِهِ عَلَيْكُمْ؛ صِرْتُمْ هَيْنِينَ لَيْنِينَ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَزَعَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّهْبَةَ مِنْكُمْ مِنْ صُدُورِ أَعْدَائِكُمْ، فَسَأَمُوكُمْ الْخُسْفَ وَأَذَلُّوكُمْ، وَنَزَلَ بِكُمْ مَا لَا تُحِبُّونَهُ وَلَا تَرْضَوْنَهُ؛ مِنْ سَلْبِ الْأَمْوَالِ، وَهَدْمِ الدِّيَارِ، وَهَتِكِ الْأَعْرَاضِ، وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَبْدَانِ، وَالْأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ تَغْيِيرُ الدِّينِ، وَمُحَاوَلَةُ الْمَحْقِ لِمَا هُوَ ثَابِتٌ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ.

وَلَكِنَّمَا هُوَ جِيلٌ يَدْخُلُ الْأَتُونِ الْمُسْتَعَرَّ فَيَفْنَى؛ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ.

﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ: وَهِيَ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ ذَكَرَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ نِزَالِ وَجَلَادٍ،

وَهُوَ مَوْطِنٌ فِيهِ مَظَنَّةٌ أَنْ تَسِيلَ النُّفُوسُ عَلَى ذُبَابِ السُّيُوفِ، وَأَنْ تَخْرُجَ الْأَرْوَاحُ عَلَى أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ. (*)

فَوَحْدَةُ الْأُمَّةِ وَالْفَتْهَا تَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرَ أَعْدَائِهَا وَكَيْدَهُمْ، وَتَجْعَلُهَا فِي مَأْمَنِ مِنْ جَمِيعِ مُؤَامَرَاتِهِمْ وَدَسَائِسِهِمْ، وَمَا نَجَحَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ فِي تَأْمِرِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدِهِمْ لَهُمْ إِلَّا بِسَبَبِ تَفَرُّقِ الْمُسْلِمِينَ وَتَخَاذُلِهِمْ وَتَدَابُرِهِمْ. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شُرُوطُ النَّصْرِ وَالتَّمَكُّينِ» - الْجُمُعَةُ ٦ مِنْ جُمَادَى الثَّانِي ١٤٢٥ هـ / ٢٣-٧-٢٠٠٤ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الحجرات: ١٠].

نِدَاءٌ لِأَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ!!

يَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ! «اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَاحْمَدُوا رَبَّكُمْ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّحَابِّ وَالتَّعَاوُنِ وَالْاجْتِمَاعِ عَلَى الْمَصَالِحِ؛ لِتَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ.

اجْتَمِعُوا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَتَعَاوَنُوا وَلَا تَخَازِلُوا، وَتَأَلَّفُوا وَلَا تَنَافَرُوا، وَكُونُوا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ مُخْلِصِينَ.

إِنَّ بِالْاجْتِمَاعِ تَتَفَقُّ الْكَلِمَةُ، وَتَجْتَمِعُ الْأَرْاءُ، وَتَتِمُّ الْمَصَالِحُ، وَإِنَّ الْمَصَالِحَ الْعَامَّةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَدَفًا لِلْأَغْرَاضِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالْعُلُوِّ الْفَرْدِيِّ.

إِنَّ الْمَصَالِحَ الْعَامَّةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فَوْقَ جَمِيعِ الْمُسْتَوَيَاتِ الَّتِي دُونَهَا، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَقْصُودَةً بِنِهَايَتِهَا وَلِذَلِكَ، يَجِبُ أَنْ تُدْرَسَ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي، وَأَنْ تُسْتَخْلَصَ فِيهَا جَمِيعُ الْأَرْاءِ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِيمَا يُمَكِّنُ مِنَ الطُّرُقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهَا، فَيَتَّفَقَ عَلَيْهَا وَيُمَشَى إِلَيْهَا.

وَالْإِنْسَانُ مَتَى خَلَصَتْ نِيَّتُهُ، وَصَلَحَ عَمَلُهُ بِالْاجْتِهَادِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ، وَسُلُوكِ أَقْرَبِ الطُّرُقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهَا، مَتَى اتَّصَفَ بِهِذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: الْإِخْلَاصِ،

وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْإِصْلَاحِ.. صَلَحَتِ الْأَشْيَاءُ وَقَامَتِ الْأُمُورُ، وَمَتَى نَقَصَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ - إِمَّا الْإِخْلَاصُ، وَإِمَّا الْإِجْتِهَادُ -؛ فَإِنَّهُ يُفَوِّتُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ بِقَدَرِ ذَلِكَ.

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْأُمُورِ نَظْرَةَ اسْتِغْلَالٍ لِمَصْلَحَتِهِ الْخَاصَّةِ، أَوْ نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةَ قَاصِرَةٍ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ؛ سَتَحْتَلُّ الْأُمُورُ وَتَفُوتُ الْمَصَالِحُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا كَأَبْنَاءِ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ نَسْعَى لِهَدَفٍ وَاحِدٍ هُوَ إِصْلَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِصْلَاحًا دِينِيًّا وَدُنْيَوِيًّا بِقَدَرِ مَا يُمَكِّنُ، وَلَنْ يُمَكِّنَ ذَلِكَ حَتَّى تَتَّفِقَ كَلِمَتُنَا، وَنَتْرَكَ الْمُنَازَعَاتِ بَيْنَنَا، وَالْمُعَارَضَاتِ الَّتِي لَا تُحَقِّقُ هَدَفًا، بَلْ رُبَّمَا تَفُوتُ مَقْصُودًا، وَتُعْذِمُ مَوْجُودًا.

إِنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا تَفَرَّقَتْ؛ دَخَلَتِ الْأُمُورَ الْأَهْوَاءُ وَالضَّغَائِنُ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ يَسْعَى لِنَتْفِيزِ كَلِمَتِهِ؛ وَإِنْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي خِلَافِهَا، وَلَكِنْ إِذَا اجْتَمَعْنَا مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَدَرَسْنَا الْمَوْضُوعَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَاتَّفَقْنَا عَلَى مَا نَرَاهُ مُمَكِّنًا نَافِعًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَصَالِحِنَا الْخَاصَّةِ؛ حَصَلَ لَنَا بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَتَقُوا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - أَنْكُمْ مَتَى أَخْلَصْتُمْ النِّيَّةَ، وَسَلَكْتُمْ الْحِكْمَةَ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسِّرُ لَكُمْ الْأُمُورَ، وَيُصْلِحُ لَكُمْ الْأَعْمَالَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! لَقَدْ مَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ بِالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا^(١)، وَهَذَا هُوَ الْمِثَالُ الصَّحِيحُ لِكُلِّ شَعْبٍ مُؤْمِنٍ، أَنْ يَتَعَاوَنَ أَفْرَادُهُ فِي إِقَامَةِ بِنَائِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْغَرَضُ تَشْيِيدَ هَذَا الْبِنَاءِ وَتَمَاسُكَهُ وَإِحْكَامَهُ، بِحَيْثُ يُكْمَلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَقُومُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا إِيمَانَ كَامِلَ مَعَ التَّفَرُّقِ، وَلَا بِنَاءَ مُحْكَمٍ مَعَ التَّفَكُّكِ.

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أُخِذَ مِنَ الْبِنَاءِ لَبْنَةٌ أَلَا يَنْقُصُ هَذَا الْبِنَاءُ؟!

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ اللَّبَنَاتُ مُتَنَازِعَةً مُتَنَافِرَةً، بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَهْدِمُ الْأُخْرَى وَتَزْلُزِلُهَا!!؟

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي كُلِّ صَوْبٍ.. اجْتَمِعُوا عَلَى الْحَقِّ، وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ، وَلَا تَبْعُدُوا شَطَطًا، وَلَا تَقُولُوا بَاطِلًا، وَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٢). (*)

عِبَادَ اللَّهِ! الدِّينُ وَاضِحٌ وَمُبِينٌ، وَعَلَيْهِ نُورٌ وَلَا أَلَاءَ، وَفِي السُّنَّةِ بَرْدُ الْيَقِينِ وَطُمَأْنِينَةُ الْإِيمَانِ.

(١) أخرج البخاري: (١ / ٥٦٥، رقم ٤٨١)، ومسلم: (٤ / ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٥)، من حديث: أَبِي مُوسَى، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ.

(٢) «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» لمحمد بن صالح العثيمين: (٢ / ٢٢٣-٢٢٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ، وَحُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - الثَّلَاثَاءُ ٢٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٩ هـ / ١٤-١١-٢٠١٧ م (كَلِمَةٌ لِأَخَوَانِنَا فِي لَبِيَا).

اتَّقُوا اللَّهَ!

أَيُّهَا الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ! تَمَسَّكِي بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِفَهْمِ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضَائِهِمْ.

عُودِي - أَيُّهَا الْأُمَّةُ - إِلَى الْأَمْرِ الْعَتِيقِ، إِلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ يَخْرُجُ النَّاسُ
بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ، تَتَأَلَّفُ الْقُلُوبُ، وَتَتَوَحَّدُ الْوُجُوهُ، وَتَتَازَرُ الْقُوَى، وَتَتَسَانَدُ
الْأَبْدَانُ، وَتَتَعَاوَدُ السَّوَاعِدُ بِنَاءً فِي هَذَا الْوَطَنِ.

اتَّقُوا اللَّهَ فِي وَطَنِكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -؛
فَإِنَّهَا مُسْتَهْدَفَةٌ مَرَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ.

تَازَرُوا، وَتَعَاوَنُوا، وَنَمُّوا الْمَوْجُودَ؛ حَتَّى تُحَصِّلُوا الْمَفْقُودَ، وَلَا تَتَّبِعُوا
السَّرَابَ؛ فَإِنَّهُ هَبَاءٌ يُفْضِي إِلَى يَبَابٍ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِصِمَهُ مِنَ الْفِتَنِ ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
وَأَنْ يَعِصِمَ جَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ. (*)

نَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَنْ يُجَنِّبَ وَطَنَنَا مُضِلَّاتِ
الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

اللَّهُمَّ صُنْ بِلَدَنَا وَجَمِيعَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، صُنْ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ
الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَيُّهَا الْمَصْرِيُّونَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٧ هـ -

١١/١٢/٢٠١٥ م.

اللَّهُمَّ اكْبِتِ الْحَاقِدِينَ.

اللَّهُمَّ أَذِلْ الْحَاسِدِينَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَثُثُونَ الْفِتْنَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْمَعْ أَبْنَاءَ هَذَا الْوَطَنِ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ - يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ -.

اللَّهُمَّ حَافِظْ عَلَى وَطَنِنَا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَاحْفَظْهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَجَمِّعْ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَمِّنْ وَطَنَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ دِيَارَنَا، وَأَلْفَ بَيْنَ أَبْنَاءِ شَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ اكْبِتِ الْحَاقِدِينَ.

اللَّهُمَّ اكْبِتْ أَصْحَابَ الْفِتْنَةِ وَأَذِلَّهُمْ، وَاكْشِفْ سِتْرَهُمْ، وَمَكِّنْ مِنْهُمْ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا مِنَ الْفَوْضَى، وَاحْفَظْ وَطَنَنَا مِنَ الْفِتَنِ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ أَهْلِهِ، وَاجْمَعْهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ - يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ -.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَقِيقَةُ مَا يَحْدُثُ فِي مِصْرَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

الفهرس

٣	المقدمة.....
٤	الوطن مدرسة الحق والواجب.....
٦	دين الوحدة والتآلف والنهي عن الفرقة والشقاق.....
٢١	الوحدة ونبذ الفرقة سبيل قوة الوطن.....
٣١	سبل تحقيق الوحدة في الوطن.....
٤٨	من أعظم سبل وحدة الوطن: نبذ العنصرية وهدم العصبيّة.....
٥٨	الوحدة من أعظم دعائم أول دولة في الإسلام.....
٦٩	الوحدة وعدم التنازع من أسباب النصر.....
٧٢	نداء لبناء الأمة الواحدة!!.....
٧٧	الفهرس.....

